إلى
لقاء المؤمنين
وبناء الجيل المؤمن

ديوان موكب النور

شعر

الدكتور عدنان علي رضا النحوي

دار النحوي
للنشر والتوزيع

الطبعة الرابعة
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

الطبعة الثانية
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

الطبعة الثالثة
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م

الطبعة الرابعة
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

دار النحوي للنشر والتوزيع
ت : ٤٠١٠٢٥٧ - ص . ب : ١٨٩١
الرياض ١١٤٤١

ديوان

موكب النور

ⓒ دار النحوي للنشر والتوزيع ١٤١٤ هـ

فهرسة مكتبة فهد الوطنية

النحوي ، عدنان علي

ديوان موكب النور : شعر .ـ ط ٤ .

٢٢٨ . ص : ١٧× ٢٤ سم

ردمك X ـ ٢١ ـ ٦٨٧ ـ . ٩٩٦

١ ـ السعودية ـ الشعر العربي ـ دواوين وقصائد

أ ـ العنوان :

ديوي ٨١١.٩٥٣١ ١٤/٢٠١٩

رقم الإيداع : ١٤/٢٠١٩

ردمك : ١ ـ ٢٠ ـ ٦٨٧ ـ .٩٩٦

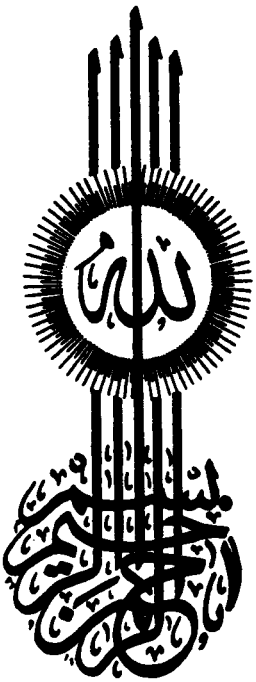

﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۚ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

سُورَةُ النُّورِ

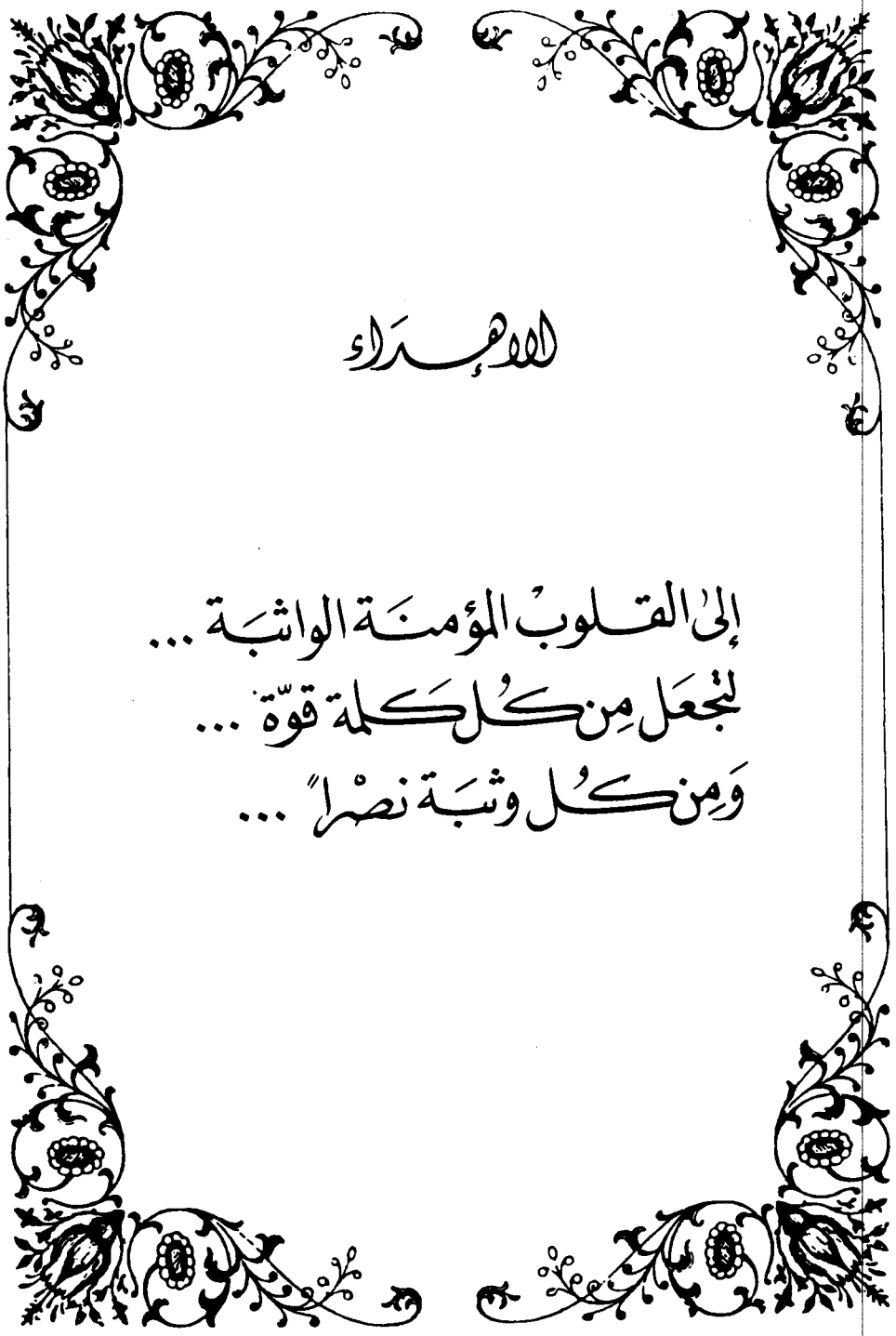

الإهداء

إلى القلوبِ المؤمنة الواثبة ...
لتجعَل مِن كُل كلمة قوّة ...
وَمِن كُل وثبة نصراً ...

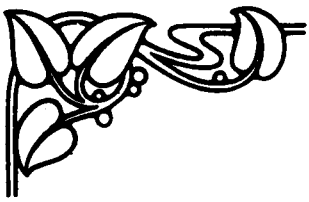
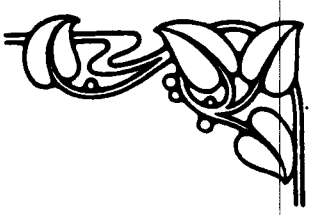

مقـــدّمة

لا تزال الأمم تبحث عن أسباب قوتها، تضرب في باطن الأرض وتخترق أجواء السماء، تبحث هنا وهناك عن الثروة والكنوز، وتجمع القوة والنفوذ. وهي بذلك تسعى لعلوّ الشأن وامتداد السلطان، ليس لها من هدف أبعد ولا قصد أعلى.

إلا أمة الإسلام...! إلا أمة الإسلام التي امتدت في التاريخ مع أول دعوة للحق وأول رسالة من السماء. امتدت في التاريخ ولا تزال ماضية معه أمة وسطاً ليكون الرسول شهيداً عليها وتكون هِيَ شهيدة على الناس. لا تحصرها أرض خانقة أو قومية جاهلية، وإنما مُدَّت لها الأرض وبُسِطَتْ لها الدنيا لتحمل معها أنبل هدف وأعلى قصد وأبعد غاية. فأما الغاية فهي الإيمان بالله سبحانه وتعالى فهو غايتها، وأما القصد فهو العبودية لله ربّ العالمين، عبودية لله ربّ العالمين تعلو وتسمو حتى تحقق العزّة والنصر وإعلاء كلمة الحق.

ألا إنها أمة العقيدة...!

وتنطلق هذه الأمة مع هذه الغايات والأهداف تجمع كذلك أسباب القوة ومصادر المنعة، تجمعها كلها جمعاً أوسع وأبعد، وأقوى وأشد. فلا تقف عند مجرد علوّ الشأن أو امتداد السلطان أو زخارف المجد.

وإذا كانت سائر الأمم قد جعلت من الأدب قوة عظيمة مع سائر القوى،

وسلاحاً حادّاً مع سائر الأسلحة، فأمة الإسلام أحق بذلك وأجدر. فأدبها ينبع من عقيدة ويصدر عن إيمان، حتى يصبح قوة تدافع وتنافح وتدعو وتكافح..

ولكم دوّى الشعر - شعر العقيدة والإيمان - بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الميادين وساحات القتال. فجعل الرسول صلّى الله عليه وسلم لحسّان بن ثابت رضي الله عنه في المسجد منبراً يقوم عليه ينافح عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم. ويقول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في عمرة القضاء حين أنشد عبدالله بن رواحة رضي الله عنه شعراً: خلِّ عنه يا عُمَرُ فَلَهِيَ أَسْرَع فيهم من نضح النبل. ولكم أحبَّ أن يسمعَ رسول الله صلّى الله عليه وسلم شعر أمية بن أبي الصلت...!

هذا هو شعر العقيدة والإيمان، وأدب العقيدة والإيمان. إنه أدب وقوة، وسلاح ونبل. إنه شيء آخر يختلف عن غيره من ألوان الشعر، يختلف في منطلقه وهدفه، ونغمته وجرسه، وصياغته وروحه. إنه شعر متصل بحقيقة الحياة، ممتد مع امتداد الكون، متسع مع اتساعه. إنه ينبع من الإيمان وينطلق في آفاق الحياة ليكون مع كل نبضة خشوعاً، ومع كل دفعة يقيناً. إنه يتصل مع الحياة اتصال تناسق وانسجام، ويرتبط ارتباط قوّة والتحام. إن معدنه الحق وكلمته الصدق.

فمن خفقة تسبيح وخشوع، إلى رعشة دعاء وابتهال. ومن نظرة في آفاق الخير والجمال، إلى دفعة صادقة في ميادين القتال. ومن سياسة وفكر، إلى بشريات ونصر.

إنه رعشة الفرح ودمعة الحزن.

إنه لهفة الشوق ورقة الحنان.

إنه قوة الجهاد وثبات اليقين.

إنه نفحة الإيمان وعَبقَ الصدق.

إنه متعة الطهارة وزينة العزة.

إنـه شعـر العقيدة والإيمان. . .! يلمس جوانب الحياة لمسة الطهر والنظافة، ويطرق أبوابها طرق القوة والثبات، ويجول في شتى نواحيها جولات الحق واليقين.

شتان ما بين لمسته ولمسة سواه، وطرقته وطرقة سواه، وجولته وجولة سواه.

يطوف في الكون بين الأرض والسماء، فيرى الآيات البينات بين الخير والجمال، حتى يخشع وينيب. وغيره ينظر فلا يرى. . .

ينـظر إلى الأزاهير والورود، فيرى الخلق وهو يتجدد، حتى يخبت ويؤوب، ويسبح ويتوب. وغيره ينظر فيرى لهو المتعة فيستكبر. . .

يرى المرأة فيرى طُهرَ جمالها، وجمالَ طهرها. يرى كرامة عونها وأُنس عِشرتها وأَمْنَ سَكَنِها، حتى يحمد ويشكر. ويرى غيره الجنس الملوّث بالأوحال، والشهوة المدّماة بالجريمة، والرغبة القاتلة للفطرة. . .

يرى أهله وأقرباءه، وصحبه وجيرانه، فإذا هم قربى ورحم، وصلة وإحسان. ويرى غيره عصبيةً مريضة، وكبراً مميتاً، وفساداً وتقطيعاً. . .

يرى أرضه وداره فإذا هي منبت خير، وحمى عقيدة، وميدان جهاد، وتاريخ أمة، فيهبها ماله وجهده وروحه في سبيل الله، يحمي عرضاً ويصُون حوضاً. ويرى غيُره الوطن منبت مصالح، وحمى تجارة، وميدان لهو، فإن وهبه شيئاً وهبه في سبيل الشيطان. . .

يعيش مع الناس، مع أفراحهم وآلامهم يدعو وينصح، ويواسي ويعين ويبذل ويجود. ويعيش غيره تحت شعارات تُطْوَى في غمرات اللهو، ورايات تنزل في أسواق النهمة والمساومة. فشعر العقيدة كلمة حق ودعوة صدق. وسواه دغدغة عواطف وإثارة نوازع. . .

فشتان ما بين لمسة ولمسة، وجولة وجولة. . .

ومهما حاولت الأمم أن تبحث عن مصادر القوة، أو أن تشحذ من أسلحة، أو أن تطور من مدافع، أو تصنع من قنابل، مهما حاولت هذا أو ذاك فستظل الكلمة أمضى سلاح وأصدق قوة، ستظل أسرعَ من نضح النبل... وستظل كلمة الحق هي الأمضى... وستظل هي الأقوى...

وشعر العقيدة والإيمان قوة من قوى الكلمة، له مضاؤها ونفاذها. وأمة الإسلام أحق أن ترعى أدبها ـ أدب العقيدة ـ وأن تصون قوتها ـ قوة الحق.

عدنان علي رضا النحوي
١٣٩٩/٢/٣
١٩٧٩/١/١

جـــولـــة
فيْ تَـلّ الزعَتر

رُدَّ الـسُّـيُوفَ إِلَى الأَغْـمَادِ وانْـتَـظِرِ
مَا يَنْـقُـلُ «الـتَّـلُّ» مِنْ هَوْلٍ وَمِـنْ خَبَرِ

هُنـاكَ... دُنْـيَا الْـمُـرُوءَاتِ الَّـتِي انْـتَـفَضَتْ
عَلَيْكَ فِي وَثْـبَـةٍ وَهّـاجَـةِ الـظَّفَـرِ

جَرَحْـتَ أَطْـرَاف لِينٍ مِنْ إِبَـاءَتِهـا
فِي لَمْحَـةٍ مِنْ أَنَـاةِ الـصَّـبْرِ والحَـذَرِ

وَلـلإِبـاءَةِ لِينٌ وَهْـيَ شَامِخَـةٌ
على رَعَـادِيدَ مَالـوْا أَوْ عَلَى غُدُرِ[1]

حَتَّـى انْـجَـلَى صَبْرُهَـا عَنْ وَمْضِ مُحْرِقَـةٍ
مِنَ الـصَّـوَاعِـقِ أَوْ خَطْفٍ مِنَ الشَّرَرِ

---

(١) جمع غَدُور وهو كثير الغدر.

وَعُـدْتَ هَرْوَلَـةً حَيْرَانَ مُنْـكَـمِـشـاً
تلوذُ في عَثَـراتِ الـذُلِّ والـصِّـغَـرِ

يَا «ابْـنَ الْـكَـتَـائِـب»...! وَيْلٌ مِنْ مُجَالَـدَةٍ
تَرُومُـهَـا! فَانْـظُرِ الأَحْـدَاثَ وَاعْـتَـبِرِ

رُدَّ الـسُّـيُوفَ عَلَى أَثْـلامِـهَـا طُوِيَتْ
إِنْ لَمْ يَعُـدْ لِحَيَاء فِيْكَ مِنْ أَثَـرِ

هِيَ الْمُـرُوءَةُ! خَجْـلَى... كُلَّمَا نَظَرَتْ
إِلَـيْكَ أَغْـضَـتْ بِطَرْف عَنْـكَ مُنْـكَسِرِ

هِيَ الـرُّجُـولَـةُ غَضْـبَى! ... كُلَّمَا التَفَتَتْ
إِلَـيْكَ مَالَـتْ بِعَـيْنِ الـسُّـخْطِ والـكَـدَرِ

فلاَ الـسُّـيُوفُ الَّـتِي جَرَّدْتَ مُنْـجِـيَةٌ
وَلاَ الـوُجُـوهُ الَّـتِي أَخْـفَـيْتَ بِالْـعُـذُرِ[1]

مَضَـى بِأَقْـنِـعَـةٍ خَرْسَـاءَ مُسْـتَـتِراً
خَلْفَ الـصَّـلِيب غَرِيبُ الـوَجْـهِ والـصُّـوَرِ

أَزِحْ صَلِيبَـكَ...! نَنْـظُرْ أَيَّ مُقْـتَـحِـم
عَلَى الحِـمَـى، أَوْ دَعِـيٍّ كاذِبٍ أَشِرِ

(١) جمع عَذِير وهو النصِّير.

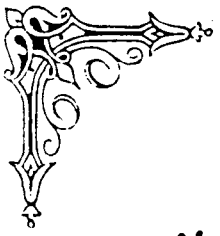

مَا بَيْنَ كُفْرٍ صَرِيحٍ فِي عَدَاوتِهِ
وَبَيْنَ دَسٍّ على الأَدْيَانِ مُعْتَكِرِ

* * *

«مُخَيَّمَ التَّلِّ» كَمْ وَشَّيْتَ ناحِيَةً
وكَمْ نَثَرْتَ عَلَى الأَطْلَالِ مِنْ زَهَرِ

تَنَفَّسَ الصُّبْحُ وَالآمَالُ زَاهِرَةٌ
تَفَتَّحَتْ عَنْ شَبَابٍ زَاهِرٍ عَطِرِ

رَعَيْتَهُ زَمَناً فِي ظِلِّ حَانِيَةٍ
مِنَ الضُّلُوعِ وَشَوْقٍ بِالْمُنَى خَضِرِ

غَذَوْتَهُ مِنْ لِبَانِ الحَقِّ مكْرُمَةً
هَدْيَ الحَنِيْفَةِ فِي قَلْبٍ وَفِي بَصَرِ

نَمَا...! فَكَانَ الفَتَى! أَنْظَارُهُ عَلِقَتْ
هُنَاكَ... بالْكَرْمِ، بِالسَّاحَاتِ بالنَّهَرِ

بِزَقْزَقَاتٍ عَلَى الأَغْصَانِ لاغِيَةٍ
بِجَدْوَلٍ ضَاحِكٍ بِالْوَرْدِ مُؤْتَزِرِ

بِسَاحَةِ المَسْجِدِ الأَقْصَى ورابِيَةٍ
وَمُرْتَقَى مُعْشِبٍ مِنْهَا وَمُنْحَدَرِ

بِالْـوَحْـيِ ، بِالْـنُّـورِ، بِالـتَّـارِيخِ مِنْ حِقَبٍ
زَخَّـارَةٍ بِعَـطَاءِ الحَقِّ، بِالـسِّـيَرِ

يَهُزُّه الـشَّـوْقُ والـتَّـحْـنَـانُ مُضْـطَرِبـاً
إلى حَنَـانٍ وَشَـوْق فِي الـرُّبَـى نَضِرِ

هُنَـاكَ... تَخْتَصِرُ الأَزْمَـانَ نَظْرَتُـهُ
وَتَـلْتَـقِـيْ عُصُرُ الـتَّـارِيخِ بِالْـعُصُرِ

هُنَـاكَ... أَنْـظَارُهُ ظَلَّتْ مُعَـلَّقَـةً
يُقَـلِّبُ الـطَرْفَ فِي دُنْـيَا مِنَ الـذِّكَـرِ

وَظَـهْـرُهُ لِذَوِي قُرْبَـاهُ مُنْـكَـشِـفٌ
على مَواثِـيقَ أَغْـنَـتْـهُ عَنِ الْحَـذَرِ

حَتَّـى دَوَتْ خَلْفَـهُ أَصْـدَاءُ نَازِلَـةٍ
وَأَطْـبَـقَـتْ حَوْلَـهُ مَحْمُـومَـةُ الـنُّـذُرِ

هَزَّتْـهُ وَانْـتَـزَعَـتْـهُ فَاسْـتَـدَار لَهَا
مُسْـتَـبْشِراً بِقَـضَـاءِ اللهِ والْـقَـدَرِ

نَادَتْـهُ . رَابِـيَةٌ مِنْ خَلْفِ رَابِـيَةٍ
لِمَ الْتِفَـاتَتُـكَ الْغَضْبى...؟ إلى خَـطَـرِ...

غداً سَأَلْقَاكِ في بُشْرَى مُعَطَّرَةٍ
مِن الشَّهَادَةِ أَوْ فِي زَهْوِ مُنْتَصِرِ

وعْداً مِنَ اللهِ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ لَنَا
وَوَعْدُهُ الحَقُّ . . . ! جَدّ الأَمْرُ . . . ! فَانْتَظِرِي

وَهَبَّ مِنْ خَيْمَةٍ مُلْتَاعَةٍ وَمَضَى
لِخَنْدَقٍ مائِجٍ فِي الدَّارِ مُضْطَرِبِ

* * *

تَفَجَّرَ الحِقْدُ أَهْوَالاً مُدَمِّرَةً
تَمُورُ أَحْشَاؤُهَا مَوْراً عَلَى سُعُرِ

تُلْقِي بِهِ جُمَمًا سوداءَ قَاتِمَةً
وَتَنْجَلِي عَنْ لَظًى فِي الدَّارِ مُسْتَعِرِ

يَطْوِي النَّهَارَ لَيَالٍ مِنْ دَوَاكِنِهَا
وَمِنْ سَوَادٍ عَلَى الآفَاقِ مُنْتَشِرِ

وأَطْبَقَتْ لُجَجُ الأَحْقَادِ وَانْتَشَرَتْ
تُقِيمُ حَوْلَكَ مِنْ سُوْرٍ وَمِنْ جُدُرِ

وَمَا دَرَتْ أَنَّ عِنْدَ اللهِ كَاشِفَةً
لِكُلِّ مُنْغَلِقٍ مِنْ كَيْدِهَا القَذِرِ

* * *

صَبَرْتَ في خَنْدَقٍ دامٍ تَشُقُّ بِهِ
دَرْبًا عَلَى صُدُقٍ للهِ أَوْ صُبُرِ

أَراعَكَ الطِّفْلُ لَمْ تَدْفَعْ براءتُهُ
ولا ابْتِسَامَتُهُ وَحْشًا مِنَ البَشِرِ

جَرَى لِيَلْقَاهُ مُغْتَرًّا بِطَلْعَتِهِ
يَظُنُّهُ جَارَهُ لِلْمَأْزَقِ الخَطِرِ

«عَمَّاهُ» مَا لَمَسَتْ أَطْرافَ مَرْحَمَةٍ
ولا حَنَانَ قريبٍ أَوْ أَخِي حَضَرِ

فَحَزَّهُ وَرَمَى الأَشْلاءَ وَاخْتَلَطَتْ
مَعَ ابْتِسَامَتِهِ أَصْدَاءُ مُحْتَضِرِ

أَمِ الصَّبَايَا إِذَا هَبَّتْ أَوْ ابْتَدَرَتْ
عزائِمًا فِي ظِلَالِ الحُسْنِ والْخَفَرِ

تَصُوغُ مَنْ حَلَبَاتِ الْمَجْدِ حِلْيَتَهَا
وَتَنْتَقِي • لليالِيهَا مِنَ الدُّرَرِ

ضَفَائِرُ الغارِ مَالَتْ فِي تَمَوُّجِهَا
عَلَى الْمَيَادِينِ ظِلًّا غَيْرَ مُنْحَسِرِ

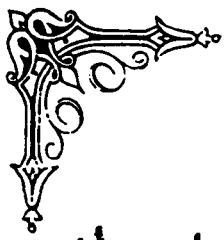

حَنّـتْ لَهَا خَطَراتُ الـغـيدِ وَاضْـطَرَبَـتْ
لِذكـرِ أَمْجَـادِهَـا خَفَّـاقَـةُ الأُزُرِ

أَمِ الـشـكَـالَى وَقَـدْ أَلْـقَـتْ عَلَى غُصَصٍ
أَفْـلاذَهَـا فَتَـلَقَّـتْ غُصَّـةَ الْخَـبَرِ

أَمِ الْـيَتَـامَـى عَلَى حَدِّ الـظبَـا انْـتَشَرَتْ
أَشْـلاؤُهَـا قِطَعـاً مَوْصُـولَـةَ الـصُّـوَرِ

صَبْراً فَتَـى «الـتـلِّ» ! كَمْ أَطْـبَقْتَ مِنْ هُدُبٍ
عَلَى شَهِـيِّ الْـمُـنَـى فِي دَرْبِـكَ الـوَعِـرِ

حَتَّـى جَلَوْتَ عَلَى الْمَـيْدَانِ صُوْرَتَهَـا
نَدِيَّةَ الـذِّكْـرِ أَوْ مُخْضَـلَّةَ الـعُـمُـرِ

كتـائِـبَ الـغَـدْرِ! لا رَوَّيْتِ حَاقِـدَةً
مِنَ الـنُّـفُـوسِ وَلاأَشْـبَـعْـتِ مِنْ نَظَرِ

أَمَـامَـكِ «الـتَّـلُّ» رَوَّى من مشـاهِـدِهِ
طَرْفًـا يَعُـدْ خَاسِئـاً بِالـعَـارِ والـكَـدَرِ

ظَنَـنْـتِـهِ هَيِّنـاً لانَـتْ مَسَـارِبُـهُ
فَارْتَـدَّ كَالـطَّوْدِ يَرْوِي آيَةَ الـعِـبَرِ

كَمْ جَوْلَـةٍ حَشَـدَتْ فيهَـا ظُنُـونُهُمُ
هَوْلاً مِنَ الْـكِـبْرِ عَادَتْ عَوْدَ مُنْـدَحِـرِ

تَجَرَّعُـوا حَسَرَاتٍ مِنْـكَ قاتِـلَةً
وَلَـوَّعَـتْـهُـمْ لَيَالِي الـنَّـحْسِ والـنُّـكُـرِ

★ ★ ★

صَفَـائِـحَ الـزِّنْـكِ! كَمْ أَفْـنَـيْتِ قُنْـبُـلَةً
وَكَـمْ أَبَـيْتِ عَلَى الأَحْـدَاثِ والـغِـيَرِ

نَشَرْتِ مِنْ ظِلِّكِ الْـمُـمْـتَـدِّ أَجْـنِـحَـةً
تَضُـمُّ شَارِدَةَ الآمَـالِ وَالأُثُـرِ

شبـابُـكِ الـصَّـيْدُ أَغْـنَـتْـهُـمْ خِيَامُـهُـمُ
عَنِ الـقُـصُـورِ وعَـنِ لَهْوٍ وَعَـنْ سَمَـرِ

تَطَلَّعُـوا... فاشْرَأَبَّـتْ مِنْ تَطَلُّعِـهِـمْ
إِلى الـعُـلا أَنْـجُـمٌ مَشْـدُوهَـةُ الـنَّـظَرِ

رَأَتْ عُلاَهَـا تَدَنَّـى عَنْهُـمُ وَمَـضَـوْا
إِلى عُلاً مُشْرِقٍ بالـنُّـورِ مُزْدَهِـرِ

هُنَـاكَ...! فُتِّـحَـتِ الجَنَّـاتُ وَائْـتَـلَقَـتْ
لَهُمْ مَقَـاعِـدُ مِنْ نُورٍ وَمِـنْ زَهَـرِ

فَأَقْبَلُوا لِنَعِيمِ الخُلْدِ صَادِقَةً
نُفُوسُهُمْ زُمَراً مَوْصُولَةَ الزُّمَرِ

مِنَ الأُلى صَدَرُوا عَنْ فِطْرَةٍ وَمَضَوْا
عَلَى هُدَى اللهِ مِنْ آيٍ وَمِنْ سُوَرِ

عَلَى مَدَى الدَّهْرِ كَمْ جَالَتْ مَوَاكِبُهُمْ
مَضْفُورَةَ الغَارِ أَوْ وَهَّاجَةَ الغُرَرِ

مَوَاكِبَ الحَقِّ! جُوزِي كُلَّ ضَائِقَةٍ
وَرَجِّعِي زَهْوَ مَجْدٍ غَيْرِ مُنْدَثِرِ

لَا تَحْزُنَنَّكِ أَرْحَامٌ إِذَا قُطِعَتْ
حِيْناً وَصَيَّرتِ الآسَادَ كالهِرَرِ

لم يَحْفَظُوا العَهْدَ فَارْتَدَّتْ عَوَاقِبُهُمْ
إِلى مَزَالِقَ مِنْ نَارٍ وَمِنْ حُفَرِ

* * *

تَجُرُّ فِي وَحْشَةِ الظَّلْمَاءِ ذِلَّتَهَا
عَلَى صَدَى نَازِفٍ مِنْ جُرْحِهَا الغَبِرِ[1]

نَهَضْتَ يَا «تَلُّ» فَانْفَضِّ الظَّلَامُ عَلَى
كَوَاكِبٍ نَثَرَتْهَا هَالَةُ القَمَرِ

(١) الجرح الذي لايزال ينتفض.

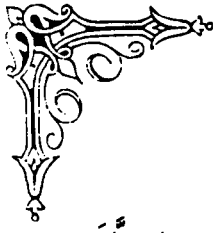

قَالُـوْا سَقَـطْتَ أَو اسْتَسْلَمْتَ مَا صَدَقُـوا
وأَنَّـتَ لُؤْلُـؤَةُ الأَمْجَـادِ والـظَّفَـرِ

نِلْتَ الَّـذِي رُمْـتَـهُ، بَلْ جُزْتَـهُ شَرَفـاً
عَلَى عُلُوٍّ الـذي تَرْجُـو مِنَ الـقَـدَرِ

وَبَاءَ غَيْرُكَ...! لَمْ يَظْفَـرْ بِمَـكْـرُمَـةٍ
تَخَطَّفَـتْـهُ الـدَّنَـايَا خَطْفَ مُهْـتَصِرِ

هَوَى وَخَـلَّفَ أَشْـلاءً مُمَزَّقَـةً
مِنَ الْمُـرُوءَةِ بَيْنَ الـنَّـابِ والـظُّفُـرِ

يَهْوِي فَتَـعْـلُو، وَيَسْـتَـخْـذِي فَتَـنْهَضُ مِنْ
عُلاً عَلَى وَثَـبَـاتٍ للعُـلَا حُمُرِ

★ ★ ★

وَاهـاً عَلَى أُمَّـةِ الإِسْـلَامِ صَيَّرَهـا
حُبُّ الحَـيَاةِ غُثَـاءَ الـسَّـيْلِ والـنَّهَـرِ

مَالُـوْا إِلى عَرَضِ الـدُّنْـيَا وَخُضْرَتِهَـا
وَأَدْبَـرُوا عَنْ جِهَـادٍ مُوْرِقٍ خَضِرِ

مُدَّتْ لَهُمْ بُسُطُ الـدُّنْـيَا مُرفَّـهَـةً
عَلَى فِرَاشٍ نَدِيِّ الـطِّيْبِ والـسُّـتُرِ

وأَسْلَمُوا لَلْعِدَى أَعْنَاقَهُمْ ذُلَّلاً
عَلَى شِفَارٍ تُدَمِّيْ رَعْشَةَ الخَوَرِ

يا أُمَّةً عَرْبَدَتْ أَهْوَاؤُهَا فَجَرَتْ
عَلَى أَعَاصِيرِهَا مَجْنُونَةَ السَّكَرِ

مَاتَتْ بِهِمْ هِمَمُ الأَبْطَالِ وَانْطَلَقَتْ
عَلَى السُّرَى هِمَمُ الأَشْبَاهِ وَالصُّوَرِ

رَمَتْ بِهِمْ عَنْ سُرُوجِ العِزِّ أَحْصِنَةً
وَمَرَّغَتْهُمْ عَلَى الأَوْحَالِ والعَفَرِ

★ ★ ★

مَسَارِحَ الشَّرقِ...! كَمْ أَخْرَجْتِ دامِيَةً
مِنَ المَآسِي وَكَمْ مَوَّهْتِ مِنْ خَبَرِ

تَحَرَّكَتْ خَلْفَكِ الأَشْبَاحُ صَامِتَةً
وَأَنْطَقَتْ «بَبَغَاوَاتٍ» مِنَ البَشَرِ

وَحَرَّكَتْ مِنْ دُمًى لانَتْ عَلَى يَدِهَا
وَدُونَهَا الشَّعْبُ في تِيهٍ وَفِي خَدَرِ

مُصَفِّقاً لِبُطُولاتٍ مُزَيَّفَةٍ
بِكُلِّ لَوْنٍ مِنَ الأَلْوَانِ مُبْتَكَرِ

١٩٧٧/١٣٩٧

التّائهونُ

هذه الأمة المسلمة، حين غلب عليها الجهل والهوى، وضعف إيمانها، تاهت في مسالك شتى. فكأنها رجل أخذته الدروب وضيعته الوديان والنجود، بين ظلمة حالكة، وعواصف مدمّرة، وهجير قاسٍ، تخدعه الأماني الكاذبة، والنعيم الزائل. فضاعت من بين يديه كنوزه، وكذبته أحلامه.. حتى أضناه المسير، فسقط إعياء وضياعاً، وغفا جفنه، وانطوت أحلامه وغلبه اليأس... ولكنّ أمجاده تدعوه لينهض، ونداء الحق يدعوه إلى الصراط المستقيم.

التّائهونْ

لَّكَ اللَّيْلُ بَعْدَ طُولِ شَتَاتٍ
وَاسْتَرَاحَتْ عَلَى الرِّمَالِ الخُدُودُ!

وغَفَا الجَفْنُ! وانْطَوَى الأُفُقُ الوَا
سِعُ والشَّوْقُ والهَوَى والجُدودُ

واسْتَرَاحَتْ عَلَى الرُّبى قِطَعُ اللَّيْـ
ـلِ حَدِيثاً يَطْوي صَدَاهُ البَيدُ

وَاكَبَتْ خَطْوَكَ المُدَمّى فأَهْوى
بِكَ وَادٍ وَغَيَّبَتْكَ النُّجُودُ

كَلّتِ الخُطْوَةُ المُدَمّاةُ بالشَّوْ
كِ وَعَضَّتْ عَلَى يَدَيْكَ القُيُودُ

مُغْلَقَ القَلْبِ! تائهَ العَيْنِ! أَعْيَتْـ
ـكَ دُرُوبٌ وَحَيْرَةٌ وشُرُودُ

الطَّرِيقُ الطَّوِيلُ تَخْنُقُهُ الأَنـ
ـنَةُ والدَّمْعُ والأَسَى المَمْدُودُ

ظُلُمَاتٌ تَمُوجُ في ظُلُمَاتٍ
وَفَيافٍ تُطْوَى وَقَرٌّ شَدِيدُ

يَرْجِعُ الطَّرْفُ تائِهاً، قانِيَ القَرْ
حِ، حَسِيراً أَضَرَّهُ التَّسْهِيدُ

والرِّيَاحُ السَّوْدَاءُ تَقْتَلِعُ الأَر
ضَ فَتَهْوِي ذُرًى وقَصْرٌ مَشِيدُ

تَدْفَعُ العارِضَ المُدَمَّرَ إِعْصَا
راً فَتَدْوِي صَوَاعِقٌ وَرُعُودُ

والفُؤَادُ المَقْرُورُ يَخْطَفُهُ الذُّعْـ
ـرُ فَتَهْوِي بِهِ اللَّيَالِي السُّودُ

★ ★ ★

والهَـجِـيُر الـدَّامِـي عَلَى كَبِـدٍ ظَمْـ
أى وَفَـيْحٌ مِنَ الـلَّهِـيبِ شَدِيدُ

يَعْصِرُ الأَنْـفُسَ الـعِـطَاشَ فَتَـحْـنِي
هَامَـةَ الـذُّلِّ مِنْ لَظَاهُ الـعَـبِـيدُ

يَنْـشُـدُ الأُفْـقَ! فَالهَـوَانُ رُكَـامٌ
دُونَـهُ والـصَّـغَـارُ مِنْـهُ سُدُودُ

تَتَـلَوّى بِكَ الـدُّرُوبُ ويَمْضِي
فِي مَتَـاهَـاتِـهِ الهَـوَى الـعِـرْبِـيدُ

★ ★ ★

والـشَّـيَاطِـينُ فِي الـنُّـفُـوسِ أَمَـانٍ
كَاذِبَـاتٌ وَفِـتْـنَـةٌ وَوُعُـودُ

عُمُـرٌ ضَيَّعَـتْـهُ حُلْوُ الأَمَـانِي
خُلَّبُ الـبَرْقِ والسَّرَابُ الـبَـعِـيدُ

زُخـرُفٌ يمـلأُ الـعُـيُونَ وَدُنْـيَا
أَزْهَـرَتْ عِنْـدَهَـا وَرَفَّـتْ وُرُودُ

والـرُّبَـى! والـقُـصُـورُ! والـنَّهَـرُ الجـا
رِيْ! وَظِـلٌّ عَلَى الـضِّـفَـافِ وَغِـيْدُ

والـفِـراشُ الـوَثِـيرُ! وَالـنَّـغَـمُ الـصَّـا
خِبُ! والـلَّيْلُ! والهَـوَى المَـنْـشُـودُ!

عَالَمٌ نَاعِـمٌ رَخِـيّ الأَمَـانِي
مُخْمَـلِيُّ الأَلْـوَانِ! دِفءٌ وَجُـودُ!

شَهَـواتُ الـفُـجُـورِ! عَرْبَـدَةُ المَـخْـ
ـمُورِ! والـكَـأْسُ والـرَّفِـيقُ الـوَدُودُ!

عَصَـفَـتْ بالـرُّؤُوسِ عَاصِـفَـةُ الخَـمْـ
ـرِ، وَجَـفْـنٌ وَهَمْـسَـةٌ وَقُـدُودُ

ماتَ فيهـا الحَـيَاءُ والشَّرَفُ الـدَّا
مِي، وَمَـاتَـتْ رُجُـولَـةٌ وَعُـهُـودُ

يَكْـشِـفُ الـصُّـبْـحُ عَنْ بَقـيَّةِ إِنْـسَـا
نٍ تَرَدَّى بِهِ المَـكَـانُ الـبَـعِـيدُ

وَحُـطَامٍ مِنَ المُـرُوءَةِ مُلْقًـى
وَعَـبِـيدٍ بَكَـتْ عَلَيْهَـا الـعَـبِـيدُ

★ ★ ★

كُنْـتَ فِي غَفْـوَةٍ! فَذَلَّ بِكَ الأَهْـ
ـلُ، وَضَـاعَـتْ مَنَـازِلٌ وَحُـدُودُ

أَسْلَمَتْ نَفْسُكَ الرَّخِيصَةُ كَنْزاً
غَالِياً لم تصُنْهُ مِنْكَ الجُهُودُ

وَاسْتَبَاحَ العِدَى حِماكَ! وَدَاسُو
كَ! ومَرّتْ عَلَى الحُطَامِ قُرُودُ

لَوَّثُوا الأَرْضَ والهَوَاءَ وَضَاعَتْ
مِنْ يَدَيْكَ المُنَى وتِلْكَ الوُعُودُ

صَوَّحَ الرَّوْضُ! فالزُّهورُ التي عطْـ
ـطَرَت الأمسَ جَفَّ مِنْهَا العُودُ

وَشَهِيُّ الأَلْوَانِ، والنَّسْمَةُ الحُلْـ
ـوَةُ، والمَرْجُ، والرُّبَى والنُّجُودُ

وَهَدِيلُ الحَمَامِ غَابَ وَرَاءَ الأُفْـ
ـقِ يَطْوِي أَحْزَانَهُ وَيُعِيْدُ

والعَصَافِيرُ! أَيْنَ أَعْشَاشُهَا الخُضْـ
ـرُ وَغُصْنٌ وَظِلُّهُ المَمْدُودُ؟

عَانَقَتْ فَجْرَهَا الأَخِيرَ وَغَابَتْ
وَصَدَاهَا عَلى الزَّمَانِ جَدِيدُ

سَقَطَتْ دَمْعَةٌ! فَرَوّى بِهَا الفَجْـ
ـرُ دُرُوبًا وَلَانَ مِنْهَا الحَدِيدُ

حَسَرَاتُ النُّزُوحِ، والجَدْوَلُ المُلْـ
تاعُ أَلْحَانُهُ نِدَاءٌ بَعِيدُ

رَجَّعَتْهَا الآفَاقُ والشَّجَرُ الوا
رِفُ والدَّارُ: «في غدٍ سَنَعُودُ»!

★ ★ ★

وَضِفَافٌ كَانَتْ تَمُوجُ مَعَ النُّوْ
رِ وَكَانَتْ بالمَكْرُمَاتِ تَجُودُ

بَدَّلَ المُكْرُ مِنْ مَلامِحِهَا السِّمْـ
ـرِ وَمِنْ بِشْرِهَا الأَسَى المَشْهُودُ

أَيْنَ إِشْرَاقَةُ الإِبَاءِ وَزَهْوُ الـ
حَقِّ والغارُ حَوْلَهُ مَعْقُودُ

وَالدُّنَا خَفْقَةُ الأَمَانِيِّ لَدَيْهَا
إِنْ رَنَا الطَّرْفُ أَوْ تَلَفَّتَ جِيدُ

لَفَتَاتُ الإِيمَانِ نُوْرُ دُرُوبٍ
والقِلاَعُ الشَّمَّاءُ تِلْكَ الزُّنُودُ

★ ★ ★

كُنْتَ فِي سكْرَةِ الغَوَايَةِ، في التِّيـ
ـهِ! وهذا الضَّيَاعُ والتَّشْرِيدُ

قد أَحَاطَتْ بِكَ الخَطَايَا وأَلقَى
بِكَ شَيْطَانُهَا العَتِيّ المَرِيدُ

كُلُّ أَوْثَانِكَ التي كنْتَ تَجْثُو
عِنْدَهَا ضَارِعًا وَتِلْكَ الحُشُودُ

وَالقَرَابِينُ، وَارْتِعَاشَةُ ذُلٍّ
ودُمُوعُ الرَّجَاءِ والتَّرْدِيدُ

قُمْ إلى المَجْدِ! لا تَدَعْ هَذِهِ الدَّا
رَ عَلَى الذُّلِّ! فَمَا هَوَاهَا القُعُودُ

الرِّمَالُ الحَمْرَاءُ أَصْدَاءُ وَحْيٍ
والرَّوابِيْ الخَضْرَاءُ مَجْدٌ تَلِيدُ

لَمْ تَزَلْ في رُبَاكَ مِئْذَنَةُ الحقْـ
ـقِ وَمَا زَالَ في رُبُوعِكَ صِيدُ

والمَيَادِينُ لَمْ تَزَلْ تَهَبُ العُمْـ
ـرَ شَهِيدٌ يَمْضِي إِلَيْهِ شَهِيدُ

قُمْ وَعَانِقْ عَلَى آنتِفَاضَتِهَا الْمَجْـ
ـدَ يُعَانِقْ جِرَاحَكَ التَّضْمِيدُ

وِنِدَاءٌ له على الأُفُقِ الْمُغْـ
بَرِّ قَرْعٌ وفي الرُّبى تَرْدِيدُ

نَفَحَاتُ السَّمَاءِ أَنْدَاءُ وَحْيٍ
فَجَّرَتْهَا عَلَى الشِّفَاهِ كُبُودُ

* * *

سَيَعُودُ الْحَمَامُ يَلْتَقِطُ الْحَبْـ
بَ وَيَلْقَاهُ سَاحُهُ الْغِرِّيدُ

وَيَعُودُ الْعُصْفُورُ، زَقْزَقَةُ الْفَجْـ
رِ تُنَادِيه، والْهَزَارُ السَّعِيدُ

هَمَسَاتُ الْحُقُولِ، وَشْوَشَةُ الدَّوْ
حِ نَدِيُّ الثِّمَارِ والْعُنْقُودُ

والْتَقَتْ دَمْعَتَانِ . . . ! في مَوْكِبِ الْفَجْـ
رِ قَصِيدٌ مُرَجَّعٌ وَنَشِيدُ

* * *

حُلُمٌ مَرَّ والأَمَانِيْ تَوَلَّتْ
وإِذَا الْحَقُّ بعدَهُنَّ خُلُودُ . . . !

فَالشَّقِيُّ الَّذِي تَوَلَّى شَقِيٌّ
والسَّعِيدُ الَّذِي أَنَابَ سَعِيدُ

فَنَعِيمٌ لِلْمُحْسِنِينَ مُقِيمٌ
وعَذَابٌ للمُجْرِمِينَ شَدِيدُ

* * *

١٣٩٧/١١/٨
١٩٧٧/١١/٢٠

رُبَى الأقصَى

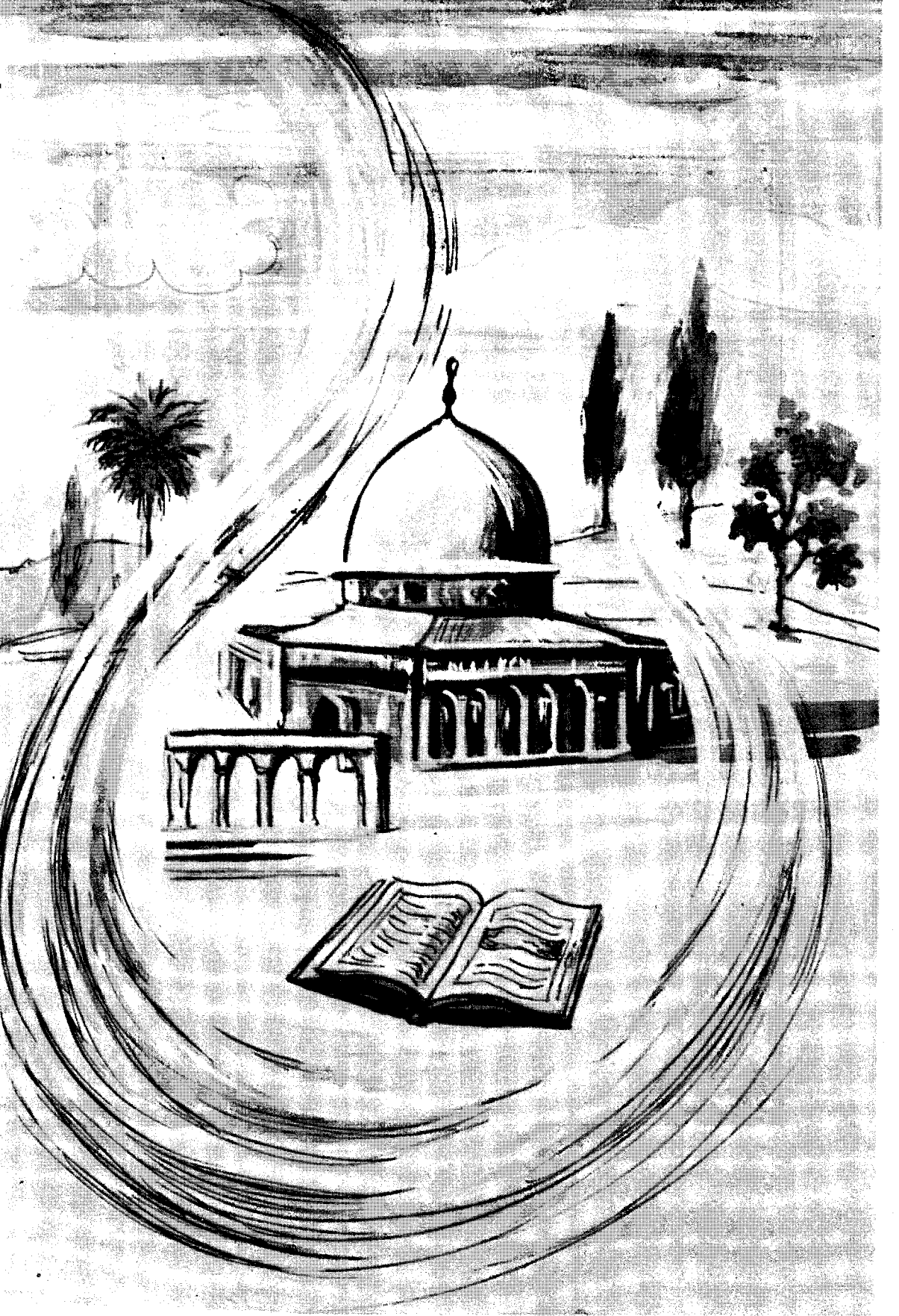

كنتُ نظمتُ المقاطع الأولى بحدود عام ١٩٤٧ حين غادر الكلية العربية بالقدس أحد الزملاء إلى بيروت. ثم عدت إلى هذه الأبيات مؤخراً عام ١٩٧٨ في الرياض فأتممتها على ضوء الأحداث التي كانت تمر بها قضية فلسطين.

رُبَى الأقصى

رُوَيْدَكَ...! قُمْ وَقَاسِمْنَا الأَنِينَا
هَلُمَّ وَدَعْ جَهَالَةَ جَاهِلِينَا

وَدَعْ عَنْكَ الغَوَايَةَ وَاطَّرِحْهَا
وَدَعْ فِتَنًا أَثَرْنَ بِكَ الفُتُونَا

فَمَا خَبَرُ الكَوَاعِبِ والغَوَانِي
إِذَا مِلْنَ الشِّمَالَ أَوِ اليَمِينَا

تَقُولُ لِعَاتِبٍ : مَهْلًا فَإِنِّي
أُصَارِعُ تَارَةً وَأَلِينُ حِينَا

وَكَمْ مِنْ نَاهِدٍ حَوْلِي تَرَاهَا
تَوَدُّ لَوِ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تُعِينَا

شِبَـاكُ ما لهنَّ يَدٌ عَلَيْهَـا
سِهَـامٌ لَمْ يكُـنَّ المُـطْلِقِـينَـا

سَرَحْـنَ مَعَ الحَـيَاةِ شِبَـاكَ صَيْدٍ
وَمِـلْنَ فَكُـنَّ سَهْـمًا رِيْشَ فِيْنَـا

★ ★ ★

فَيَا بَيْروتُ... مَوْحـى الـشِّـعْـرِ... غَـنِّيْ
هَوَاهُ وَلَهْـوَهُ نَغَـمًا حَزِيْنَـا

تَرَكْـتِ لَهُ عِنَـانَ الـلَّهْـوِ رَخْـواً
يَتِـيْهُ عَلَى عَوَاصِـفِـهِ جُنُـونَـا

فَتَـطْوِيه كَمَا يَطْوِيْ خِضَـمٌّ
- إِذَا اضـطَرَبَ الـعُـبَـابُ بِهِ - سَفِـيْنَـا

ظِلَالَ الأَرْزِ قُصِّيْ عَنْ هَوَاهُ
وَعَـنْ خَبَرِ الـغَـوَانِي حَدِّثِـيْنَـا

يَمِـيْلُ عَنِ الـدُّرُوسِ وَيَزْدَرِيْهَـا
وَيَرْغَـبُ جَاهِـداً أَنْ لاَ تكُـوْنَـا

إِذَا ذَكَـرُوا الـكِـتَـابَ يَقُـوْلُ : «عَـنِّي»
وَإِنْ ذَكَـرُوا المَـلاَهِـيَ قَالَ : «جِـينَـا»

★ ★ ★

أَتَـذْكُـرُ كَيْفَ كُنْـتَ أَسِـيْرَ سِجْـنٍ
يُبَـعْـثِـرُ رَبُّـهُ فِيهِ الـعُـيُوْنَـا

كَسَرْتَ قُيُودَهُـمْ وعَـبِـثْـتَ فِيهَـا
وَبِـتْـنَـا فِي الـسُّـجُـونَ مُقَـيَّدِيْنَـا

نَدُقُّ جِدَارَهَـا دَقًّـا لِنَـمْضِيْ
لِمُعْـتَرَكِ الـشَّـبَـابِ الْمُـؤْمِـنِـيْنَـا

هُنَـالِـكَ أَحْـكَـمُـوا قَيْداً عَلَيْنَـا
وَرَدُّوا حَوْلَ صَرْخَـتِـنَـا الـسُّـجُـونَـا

مَعَـاهِـدُ لَمْ تَقُـمْ إِلَّا لِتَـبْـنِيْ
شَبَـابَ عَقِـيْدَةٍ مُتَـوَثِّـبِـيْنَـا

إِذَا مَا الـدَّارُ مَزَّقَـهَـا ذِئَـابٌ
وَأَضْـحَـتْ نُهْبَـةً لِلنَّـاهِـبِـيْنَـا

فَمَا تَغْـفُـو عُيُونٌ عَنْ حِمَاهَـا
وَلَا تَرْضَـى عَلَى الْهَـيْجَـاءِ هُوْنَـا

وَلَـوْلَا «الإِنْـتِـدَابُ» جَثَـا عَلَيْنَـا
وَخُـلْفٌ مَزَّقَ الْمُـتَـخَـاصِـمِـيْنَـا

لَمَّا عَضَّتْ قُيُودُهُمُ عَلَيْنَا
وَلَا حَوَتِ السُّجُونُ بِهَا سَجِيْنَا

* * *

رُوَيْدَكَ... دَعْ هَوَى دَعْدٍ وَهِنْدٍ
وَهُبَّ وأَنْجِدِ الطَّلَلَ الحَزِيْنَا

وَدَاراً بَارَكَ الرَّحْمَنُ فِيْهَا
تَمُدُّ بِفَيْضِ رَحْمَتِهِ السِّنِيْنَا

رُبَى الأَقْصَى فَدَيْتُكِ مِنْ جِراحٍ
حَمَلْتِ عَلَى الزَّمَانِ بِهَا الشُّجُونَا

مَرَابِعُ كُلَّمَا مَرَّتْ عَلَيْهَا
عُصُورٌ طَأْطَأَتْ وَحَنَتْ جَبِيْنَا

وَأَلْقَتْ فِي رَوَابِيْهَا غِرَاساً
وَرَوَّتْ سَهْلَهَا وَسَقَتْ حُزُوْنَا

فَتَحْمِلُ مِنْ دَمِ الشُّهَدَاءِ مِسْكاً
وَتَنْشُرُ مِنْ ظِلَالِ الوَحْيِ دِيْنَا

* * *

وَقَفْتِ عَلَى رُبُوعِ الشَّرْقِ بَاباً
يَصُدُّ عَنِ الرُّبُوعِ الْمُعْتَدِيْنَا

حِمىً لِلْحَـقِّ والإيمانِ تَبْـنِيْ
بِبَـذْلِـكِ دُونَـهُ حِصْنًـا حَصِـيْنَـا

شَمَـخْـتِ عَلَى الـرَّزَايَا فَاسْـتَـذَلَّـتْ
أَمَـامَـكِ زَهْـوَةُ الْمُـتَـكَـبِّرِيْنَـا

تَظَلُّ يَدُ الـشُّـعُـوبِ تَدُقُّ فيه
لِتَـفْـتَـحَ دُونَـهُ فَتْـقاً مُهِـيْنَـا

وَتَخْـرِقَ مِنْ سِياجِ الحـقِّ خَرْقًـا
يُمَـزِّقُ شَمْـلَهَـا مَزْقًـا وَهُـوْنَـا

فَتَـنْهَـبَ مِنْـهُ خَيْراتٍ حِسَـانـاً
وَوُدْيَانًـا جَرَتْ رَغَـدًا وَلِـيْنَـا

وَأَفْـيَاءً حَمَلْنَ بِهَا ثِمَاراً
مُبَـارَكَـةً وَفِـضْـنَ بِهَا عُيُونَـا

وَتَـارِيخـاً يَفُضُّ بِرَاحَـتَـيْهِ
لآلِئَ تَنْشُرُ الـوَهْـجَ الْمُـبِـيْنَـا

وَأَمْجَـادَ الـنُّـبُـوَّةِ زاهِـيَاتٍ
يَصِـلْنَ عَلَى مَرَابِـعِـهَـا الـقُـرُوْنَـا

★ ★ ★

فَوَا عَجَبَاً إذَا اخْتَلَفَتْ شُعُوبٌ
إلَيْكِ وَلَمْ تَجِدْ فِيْكِ القَرِيْنَا

أَلَيْسَ هُنَاكَ فِي السَّاحَاتِ صِيْدٌ
إذَا انْتَفَضُوا مَضَوْا مُتَعَطِّشِيْنَا

جُنُوْدُ مُحَمَّدٍ سَتَهُبُّ تُوفِي
بِعَهْدٍ صَادِقٍ للهِ فِيْنَا

إذَا وَثَبُوا إلى العَلْيَاءِ شَقُّوْا
بِوَمْضِ نِصَالِهِمْ سُحُبًا وَجُوْنَا

أَزَاحُوْهَا عَلَى سُرُجِ الضَّحَايَا
تَقُودُ بِنُورِ وَقْدَتِهَا البَنِيْنَا

★ ★ ★

رُبَى الأَقْصَى طُيُوفُكِ ذِكْرَيَاتٌ
خَشَعْتُ أَمَامَهَا دَمْعًا هَتُونَا

خَشَعْتُ وَقَلْبِيَ الوَثَّابُ فِيهَا
يُدَمِّي فِي تَلَفُّتِهِ الْحَنِيْنَا

مَدَدْتُ يَدِي عَلَى حُلُمِي لأَلْقَى
مُحَيَّاكِ الْمُنَوَّرَ والجَبِيْنَا

رَجَعْتُ وَمِنْكِ فِي كَفَّيَّ دَمْعٌ
وَفِي أُذُنَيَّ أَسْتَرِقُ الأَنِينَا

* * *

وَأُصْغِي عَلَّ أَصْدَاءَ اللَّيَالِي
تُعِيدُ خُطَى سَرَاةِ الأَوَّلِينَا

مُضَمَّخَةً عَلَى طِيْبٍ مُنَدًّى
يَذُوبُ عَلَيْهِ نَفْحُ المُرْسَلِينَا

وأُصْغِي . . . ! فالضَجِيجُ عَلَا وأَدْمَى
لَهَاةَ الضَّائِعِينَ الحَائِرِينَا

ضَجِيجُ الجَاهِلِينَ إِذَا اسْتُذِلُّوا
وَأَهْوَاءُ العُتَاةِ الظَّالِمِينَا

طَغَى فَوْقَ الأَمَانِيْ واسْتَبَاحَتْ
حَنَاجِرُهُ المَحَارِمَ وَالعَرِينَا

عَلَى صَيْحَاتِهِ خَدَرٌ وَتِيْهٌ
تُبَحُّ بِهِ حُلُوقُ الهَاتِفِينَا

يَمُوتُ بِهَا صَدَى حُلُمِيْ وَيَبْقَى
عَلَى الأَشْلَاءِ هَمْسُ الصَّابِرِينَا

سَيَنْفَجِرُ الصَّدَى يَوْماً وَيَطْوِي
عَلَى أَمْوَاجِهِ المُتَجَبِّرِيْنَا

وَيَنْحَسِرُ الضَّجِيجُ عَلَى سِنانٍ
رَجَعْنَ عَلَى تَلاَحُمِهَا الرَّنِيْنَا

تَرَى الفُرْسَانَ فِي المَيْدان خُرْساً
سوى زَنْدٍ يَسُوقُ بِهَا المَنُونَا

وتَكْبِيْرٍ عَلَى الأَفْوَاهِ يُنْدِيْ
عَلَى فَرَحَاتِهَا النَّصْرَ المُبِيْنَا

هُنَالِكَ تَخْشَعُ الدُّنْيَا وَتُصْغِي
لآيَاتٍ بِسَاحَتِهَا تُلِيْنَا

رُبَى الأَقْصَى، فَدَيْتُكِ، أَيُّ طَيْفٍ
أَلَمَّ وَلَمْ يَكُنْ طَيْفًا حَنُونَا

خُطَى مُوسَى عَلَى ثَبَجِ الصَّحَارَى
تَشُقُّ عَنِ الرِّمَالِ هَوىً دَفِينا

هَوَىً تَتَفَتَّحُ الأَكْمَامُ مِنْهُ
وَتَنْفَحُ مِنْ بَشَائِرِهِ اليَقِيْنَا

دُعَـاءَ أَبِـيْهِ إِبْـرَاهِـيمَ بُشْرَى
يُرَجِّـعُ مِنْ صَدَاهَـا الْمُـرْسَـلُونَـا

تَفُضُّ عَلَى شُفُـوْفِ الـغَـيْبِ مَسْرَى
لأَحْمَـدَ يَأْخُـذُ الـعَـهْـدَ الأَمِـيْنَـا

★ ★ ★

يُؤَمُّـهُـمُ بِسَـاحِـكِ ثُمَّ يَمْضِي
يَشُـقُّ بُرَاقُـهُ سَقْـفًـا مَتِـيْنَـا

دَنَـا شَوْقًـا فماجَ مَطَافُ نُوْرٍ
يَرِقُّ بِهِ خُشُـوعُ الْخَـاشِـعِـيْنَـا

وَفُـتِّـحَـتِ الـغُـيُوبُ لِنَـاظِـرَيْهِ
وآيَاتٌ جَرَتْ دُنْـيَا وَدِيْنَـا

★ ★ ★

خُطَى مُوسَـى عَلَى الـصَّـحْـرَاءِ لَجَّتْ
وَحَـرَّكَـتِ الـلواعِـجَ وَالْحَـنِـيْنَـا

هَوَى الإِسْـلَامِ لِلأَقْـصَـى نَدِيّ
فَطِيبِـيْ وَانْـعَـمِـي صَحْـرَاءَ سِيْنَـا

فَهَـبَّ بِقَـوْمِـهِ مُوْسَـى وَنَـادَى
فَأَجْـفَـلَ دُونَـهُ الْمُـتَـقَـاعِـسُـونَـا

وَقَـالُـوا إِنَّ جَبَّـارِيْنَ فِيهَـا
وَإِنَّـا حَيْثُ تَنْـظُرُ قَاعِـدُونَـا

فَأَنْـتَ وَرَبُّـكَ الجَبَّـارُ قُوْمَـا
إِلـيهِـم واقْـحَـمَا السَّـاحَ الحَصِـيْنَـا

فَإِمَّـا يَخْرُجُـوْنَ عَلَى سَلَامٍ
فَنَـدْخُـلُ عِنْـدَ ذَلِـكَ آمِـنِـيْنَـا

هُنَـالِـكَ مُزِّقُـوا مِزَقًـا وَتَـاهُـوا
عَلَى عِصْـيَانِهِمْ ذُلًّا مُهِـيْنَـا

أَبَـتْ سَاحَـاتُـكِ الجُبَـنَـاءَ دَوْمًـا
وَتَـأْبَـى المُجْـرِمِـينَ الـظَّالِمِـيْنَـا

سَتَـلْفُـظُهُـمْ إِذَا فَسَـقُـوْا وَهَـانُـوا
وَتَـطْحَـنُهُـمْ إِذَا كَفَـرُوا طَحِـيْنَـا

نَدَاكِ يَظَلُّ لِلإِسْـلَامِ مَغْـنَـى
وَعِـطْرُكِ ظَلَّ نَفْـحَ المُؤْمِـنِـيْنَـا

★ ★ ★

أَلَسْـتِ عَلَى هُدَى الإِسْـلَامِ نَايًا
يُرَجِّـعُ فِيكِ آيَاتٍ وَدِيْنَـا

عَلَى مِزْمَارِ دَاوُدَ اللَّيَالِي
يَمُوجُ خُشُوعُهَا رَهَبًا وَلِينَا

وَتَجْرِيْ مِنْ «سُلَيْمَانَ» الغَوَالِي
بَيَانَ نُبُوَّةٍ قَطَعَ الظُّنُونَا

تَمُرُّ يَدُ «المسيح» على الرَّوَابِي
لِتَمْسَحَ مِنْكِ جَرْحَكِ وَالجُفُوْنَا

جَمَعْتِ بِسَيِّدِ الرُّسُلِ الأَمَانِي
وَبِالْقُرْآنِ ذِكْراً مُسْتَبِيْنَا

وَشَعَّتْ كُلُّ رَابِيَةٍ وَفَضَّت
عَلَى لُأْلَائِهَا الكَنْزَ الثَّمِيْنَا

أُولَئِكَ لَيْسَ مِنْ نَسَبٍ إِلَيْهِمْ
وَلَا رَحِمٍ يَشُدُّ المُدَّعِيْنَا

سِوَى الإِسْلَامِ آصِرَةً وَقُرْبَى
يَوَثِّقُ مِنْ عُرَاهَا المُؤْمِنُوْنَا

فَوَا عَجَبًا لِمَنْ مُسِخُوا قُرُوداً
جَزَاءَ الْكَافِرِيْنَ المُعْتَدِيْنَا

وَمَـنْ عَبَـدُوا عَلَى الأَهْـوَاءِ عِجْـلاً
عَلَى دَنَسِ الـضَّـلالَـةِ مُبْـلِسِـيْنَـا

فَثَـمَّ عَمُـواً وَصَـمُّـوا وَاسْـتَـحَـلّوا
دِمَـاءَ الأَنْـبِـيَاءِ الْمُـقْـسِـطِيْنَـا

وَمَـا تَرَكُـوا عَلَى الأَيَّامِ شَرًّا
وَمَـا حَفِـظُوا لِعَـهْـدِهِـمُ يَمِـيْنَـا

أَيَزْعُـمُ هَؤُلاَءِ إِلَـيْكِ قُرْبَـى
رُبَـى الأَقْـصَـى....! بَرِئْـتِ وَطِـبْـتِ دِيْنَـا

وَطِـبْـتِ رُبَـى وَسَـاحَـاتٍ وَدَاراً
وَأَنْـسَـامـاً جَرَيْنَ هَوًى وَلِـيْنَـا

وَشُـطْآنـاً نَثَـرْنَ عَلَى يَدَيْهَـا
لأَلِئَـهَـا وَزَيَّنَ الجَـبِـيْنَـا

وَوُدْيَاً نَا جَمَعْـنَ لَهَا عُقُـوداً
وَفَـتَّـقْـنَ الـشَّـذَا والـيَاسَـمِـيْنَـا

كَأَنَّ عَلَى مَبَـاسِـمِـهَـا دُعَـاءً
وَتُـغْضِي فِي تَبَـتُّـلِهَـا الْجُـفُـوْنَـا

إلهي... أيْنَ أبْنائي وَقَوْمِيْ
وَمَنْ رَفَعُوا عَلَى شَرُفٍ حُصُونَا

مَشَاعِلُهَا مِنَ الإيْمَانِ وَقْدٌ
أَضَاءُوا دُونَهَا الدَّرْبَ الأَمِيْنَا

سَأَنْتَظِرُ اللَّيَالِي لاَ أُبَالِي
لأَلْقَى فِيْهِمُ النَّصْرَ المُبِيْنَا

يَظَلُّ صَدًى مِنَ الإسْرَاءِ عَهْداً
يُحَرِّكُ بَيْنَ أَضْلُعِيَ الحَنِيْنَا

١٩٧٨

* * *

مَوكبُ النور

خوّفوه من الأحداث والنوائب وأغروه بالزخرف وعرض الدنيا فسار في موكب النور، فذهب خوفه، واطمأنّت نفسه، ورضي قلبه.

مَوكبُ النور

رَوِّعِيْهِ مَا شِئْتِ أَوْ فَدَعِيْهِ
لَمْ يَزَلْ مُمْسِكًا بِحَبْلٍ مَتِينِ

مَا قَسَا قَلْبُهُ وَلَكِنْ لَدَيْهِ
دَمْعَةٌ لَمْ تَجِفَّ بَيْنَ الجُفُونِ

خَشْيَةٌ فِي الفُؤَادِ تَعْصِرُ دَمْعًا
ذَوَّبَتْهُ عَلَى مَطَافِ الحَنِينِ

رَقَّ فِي خَشْيَةٍ فَفَاضَتْ عَلَيْهِ
رَحْمَةُ اللهِ فِي حِمًى مَأْمُونِ

* * *

عَجَبًا أَنْ تَرَى مَعَ الخَوْفِ أَمْنًا
وَمَعَ اللَّيْلِ شُعْلَةً مِنْ يَقِينِ

وَعَـلَى الـشَّـوْكِ نَفْـحَـةً مِنْ نَدَى الـصُّبْـ
ـحِ وَمِـنْ رِقَّـةٍ عَلَيْهِ وَلِـينِ

وَعَـلى غَبْرَةِ الـشِّـفَـاهِ ابْـتِـسَـامـاً
وَعَـلى قَرْحِـهِ رِضَـاءَ الـعُـيُونِ

وَعَـلى الجُـرْحِ رَفْـرَفَـاتِ نَسِـيمٍ
ذَوَّبَتْ فِي نَدَاهُ رَجْـعَ الأَنِـينِ

ذَاكَ لِلْمُـؤْمِـنِ الَّـذِي صَحَّ مِنْـهُ
قَلْبُـهُ أَوْ مَضَـى بِعَـزْمٍ أَمِـينِ

★ ★ ★

كُلَّمَا أَقْـبَـلَ الـدُّجَـى وَطَـوَاهُ
أَشْرَقَـتْ مِنْـهُ لَفْـتَـةٌ مِنْ جَبِـينِ

أَوْ أَحَـاطَـتْ بِهِ المُـلِمَّاتُ يَوْمـاً
وَثَـبَـتْ مِنْـهُ عَزْمَـةٌ مِنْ دِينِ

وَانْـتَـضَـى نَصْـلَهُ، فَأَهْـوَى، فَوَلَّـتْ
مُدْبِـرَاتٍ مُجَلْجِـلاَتُ الـقُـرُونِ

وَتَـنَـاءَتْ وَرَاءَهُ قِطَعُ الـلَّيْـ
ـلِ وَغَـابَـتْ بَقِـيَّةٌ مِنْ ظُنُـوْنِ

وَتَخَطَّى الذُّرَى وَنَادَى رُوَيْداً
أَقْبِلِي يَا صِعَابُ أَوْ لاَ تَكُونِي

دَرْبِيَ الحَقُّ...! حَيْثُمَا سِرْتُ أَلْقَى
قَبَسًا شَعَّ أَوْ هُدًى بِيَمِينِي

مَا حَنَيْتُ الجَبِينَ إِلاَّ رُكُوعاً
وَسُجُوداً للهِ فَهْوَ يَقِينِي

★ ★ ★

فِي خُشُوعِ الدُّجَى عَرَفْتُكَ يَارَبْ
بُ، وَفِي نَجْمِهِ، وَفَيْضِ السُّكُونِ

جَلَّ فِي صَمْتِهِ فَكَانَ بَيَانًا
فِي قُلُوبٍ وَعَتْهُ أَوْ فِي جُفُونِ

هَدَأَ النَّاسُ... غَيْرَ قَلْبٍ شَجِيٍّ
هَبَّ مِنْ لَهْفَةٍ وَشَوْقٍ دَفِينِ

مَدَّ كَفَّيْهِ فِي ثَنَايَا اللَّيَالِي
رَعَشَاتٍ مُبَلَّلاَتِ الحَنِينِ

وَهَبَتْ لِلنُّجُومِ رَعْشَةَ شَوقٍ
وَأَعَارَتْ لَهَا انْفِلاَتَ الشُّجُونِ

فِي شُعَاعٍ يَمُوْجُ بَيْنَ ثَنَايا
هُ رَفِيْفٌ مِنَ الدُّعَاءِ الحَزِينِ

★ ★ ★

أَيُّهَا النَّجْمُ مَنْ رَعَاكَ عَلَى الأُفْـ
ـقِ وألقَاكَ في مَسَارٍ مَكِينِ

فَلَكٌ...! كَمْ جَرَيْتَ فِيهِ لِتَمْضِي
سَابِحًا فِي دَقَائِقِ التَّكْوِينِ

أَيْنَ تَمْضِي...! وَأَنْتَ تَسْجُدُ للّـ
ـهِ خُشُوْعًا عَلَى هُدَاهُ الْمُبِينِ

كَمْ مَضَى...! كَمْ تُرَاهُ بَعْدُ تبَقَّى...
أَيْنَ يا نَجْمُ مُسْتَقَرُّ السَّفِينِ

قَدَرٌ غَالِبٌ مِنَ اللهِ يُمْضِي
بِهُدَاهُ دَقَائِقًا مِنْ شُئُوْنِ

★ ★ ★

كَمْ مِنَ النَّاسِ لَمْ يَرَوا فِيكَ إلاَّ
صَخْرَةً أَظْلَمَتْ وَكُتْلَةَ طِينِ

سَرَقُوا مِنْكَ نُوْرَكَ المُتَلاَلِي
سَرَقُوا رَعْشَةً وَخَفْقَ حَنِينِ

سَرَقُوا دَعْوَةً وَهَمْسَ صَلاَةٍ
سَرَقُوا مِنْكَ كُلَّ شَيْءٍ ثَمِينِ

سَرَقُوا نَبْضَةَ الحَيَاةِ، أَمَاتُو
هَا عَلَى ظُلْمَةٍ وَمَوْجِ فُتُونِ

سَرَقُوهَا مِنَ النُّفُوسِ، مِنَ القَلْـ
ـبِ، وَمِنْ فِطْرَةٍ وَنُورِ عُيُونِ

سَرَقُوهَا مِنَ الضِّيَاءِ وَرَاحُوْا
دَفَنُوْهَا فِي ظُلْمَةٍ مِنْ سُجُونِ

أَيُّ تِيهٍ يَلُفُّهُمْ وَضَلاَلٍ
أَيُّ كِبْرٍ مِنَ الهَوَى مَجْنُونِ

أَيُّ كِبْرٍ أَذَلُّ مِنْ كِبْرِ كَفَّا
رٍ وَأَشْقَى مِنْ مَكْرِهِ المَفْتُونِ

* * *

وأَفَاقَتْ مِنْ غَفْوَةِ الوَهْمِ أَحْلاَ
مٌ - عَلَى رَفْرَفَاتِ فَجْرٍ مُبِينِ

مَوْكِبَ النُّوْرِ فِي مَطافِ جَمَالٍ
وَجَلاَلٍ عَلَى مَرَابِعَ غِينِ !

مَوْكِبَ النُّورِ...! أَيُّ طَيْفٍ نَدِيٍّ
مُشْرِقٍ فِيهِ، أَيُّ ظِلٍّ حَنُونِ

تَفْتَحُ الزَّهْرَةُ النَّدِيَّةُ جَفْنَيْـ
ـهَا دُعَاءً بِيَوْمِهَا الْمَيْمُونِ

* * *

أَيُّهَا الزَّهْرُ مَنْ حَبَاكَ وَمَنْ أَعْطَا
كَ مِنْ نَفْحِهِ الشَّذَا وَمِنْ تَلْوِينِ

زُرْقَةٌ مِنْ رَوَائِعِ الأُفْقِ مَاجَتْ
وَاحْمِرَارٌ مُضَمَّخُ التَّكْوِينِ

واصْفِرَارٌ كَأَنَّهُ لَهْفَةُ الشَّوْ
قِ وَمِنْ جَوْهَرٍ كَرِيمٍ ثَمِينِ

واخْضِرَارٌ يَمُوجُ بَيْنَ طُيُوفٍ
وَرَفِيفٌ مِنْ جَدْوَلٍ وَعُيُونِ

* * *

يَا مُرُوجَ الرُّبَى...! تُنَادِيكِ أَعْمَا
قٌ وَيَدْعُوكِ عَبْقَرِيُّ الْفُنُونِ

مَزَجَتْ سِحْرَكِ الْمُمَوَّجَ، أَلْقَتْـ
ـهُ هُنَا...، أَوْ هُنَاكَ...، فوق الغُصُونِ

بَيْنَ وَادٍ، عَلَى الضِّفَافِ الحَوَانِي،
في الثَّنَايَا، في التِّينْ والزَّيْتُونِ

في عُرُوقٍ غَنِيَّةٍ، في وُرُودٍ،
في أَقَاحٍ هُنَاكَ أَوْ نِسْرِينِ

لَمَسَتْ رَعْشَةَ الهَوَى ثُمَّ ذَابَتْ
في صَبَايَا مِنَ الكَوَاعِبِ عِينِ

★ ★ ★

أَيُّ لَوْن مِنَ الخَيَال تَلَقَّا
هُ بِوَادٍ مُرَفْرِفٍ وَحُزُون

وَطُيُورٍ عَلَى الأَفَانِينِ أَلْحَا
نٌ وَرَجْعٌ مِنَ الصَّدَى والرَّنِين

كُلُّ لَحْنٍ صَدًى لِخَفْقَةِ لَوْنٍ
كُلُّ قَطْرٍ صَدَى لِخَفْقِ عُيُونِ

هَمَسَاتُ الدُّعَاءِ للهِ تَسْبِيـ
ـحٌ وَرَجْعٌ مِنْ سِرِّهِ المَكْنُونِ

★ ★ ★

أَنْتَ يَارَبِّ! خَالِقَ الكَوْنِ... ! كَمْ أَلْـ
ـقَيْتَ لِلنَّاسِ آيَةً مِنْ يَقِينِ !

كُلُّ مَا تَجْتَلِي الْعُيُونُ عَلَيْهِ
هُوَ مِنْ خَفْقَةٍ لِمَاءٍ وَطِينِ

صَاغَهَا اللهُ نَفْحَةً وَحَبَاهَا
نَسْمَةً مِنْ هُدًى وَفَيْضِ مَعِينِ

سَاجِدَاتٍ للهِ فِي مَوْكِبِ النُّوْ
رِ خُشُوعًا وَرِفَّةً مِنْ حَنِينِ

★ ★ ★

١٣٩٨/٥/١٨
١٩٧٩/٤/٢٧

في يوم عرفة عام ١٣٩٧ هجرية السبت في ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ .
تحرك أحد أفراد هذه الأمة .
إلى أرض فلسطين المغتصبة، والتقى في موكب من الحفاوة مع
شعب صِهْيَون .....!

رَحلة المَوتْ

طَوَى الـلَّيْلُ آفَـاقَ الـفَـيَافي وَأَرْعَـدَتْ
عَلَيْه ذِئَـابٌ دَامَـياتُ الأَظـافِـرِ

تُمَزِّقُ أَحْـشَـاءَ الـضَّـحَـايَا بِنَـابِهَـا
وَتَـطْوِيْ بَقَـايَا شِلْوِهَـا الْمُـتَـنَـاثِـرِ

وَتَـطْحَـنُ ما بَيْنَ الضّروسِ أَنِـينَهَـا
وَتُخْـنُـقُ حَسْراتِ الأَسَـى والمـشَـاعِـرِ

هُوَ الـلَّيْلُ . . . ! أشبـاحُ الـرَّزَايَا تَنَـاثَـرَتْ
عَلَيْهِ وأَطْـيَافُ الـجُـدودِ الـعَـوَاثِـرِ

فَما أَوْمَـضَـتْ فِيه بَوَارِقُ صَارِمٍ
وَلَا زَمْجَـرَتْ فِيهِ حَمِيَّةُ ثَائِـرِ

ولا انْتَفَضَتْ دُونَ الدِّيَار كُمَاتُهَا
وَلاَ وَثَبَتْ فَوْقَ السُّرُوجِ الضَّوامِرِ

ولا نَهَضَتْ مِنْ وَهْدَةِ الذُّلِّ كَبْوَةً
وَلاَ نَفَضَتْ عَنْهَا غُبَارَ الحَفَائِرِ

* * *

مَضَيْتَ... ! وَأشلاءُ الأُبَاةِ تَبَعْثَرَتْ
وَدُنْيَا المُرُوءَاتِ اسْتَذَلَّتْ لِفَاجِرِ

مَضَيْتَ... وإنْ كادَتْ خُطَاكَ لتَسْتَحِيْ
وَتَرْجِعُ عن غَيِّ الذَّلِيل المُكَابِرِ

فأقْحَمْتَهَا هَوْلَ الدَّنَايا وصَفَّقَتْ
إلَيْكَ أكُفّ السَّاقِطَاتِ الفَوَاجِرِ

تَمُرُّ عَلَى الأمْجَادِ رَعْشَةُ ذِلَّةٍ
فَتُغْمِضُ مِنْ أجْفَانِها والمَحَاجِرِ

وَتُغْضِي... وَأصْدَاءُ الجراحِ حَبِيْسَةٌ
تَمُوتُ عَلَى أصْدَاءِ طَعْنَةِ غَادِرِ

* * *

أأشْفَقْتَ أنْ تَبْقَى ثكَالاَكَ بالأَسَى
ودَمْعُ اليَتَامَى بَيْنَ خَدٍّ وَنَاظِرِ

وَمَـا أشْـفَـقَتْ «صِهْيَوْنُ»...! كلُّ رُبُـوعِهَـا
ثكَـالى وأيْتَـامٌ وفَـيْضُ مَجَازِرِ

فَمَا صَرَخَـتْ إلاّ لتَـنْـفُضَ يَأْسَـهـا
وتَمْضِيَ في دَرْبٍ شَدِيدِ المَـخَـاطِـرِ

فَتُـلْقِـيَ أفْـلاَذَ الـكُـبُـودِ عَلَى الـلّظَى
وَتَحْـمِـيَ آمَـالَ الـنُّـفُـوسِ الـغَـوَادِرِ

لِتَـجْـعَـلَ مِنْ زُوْرِ الـضَّـلاَلِ حَقِـيقَـةً
وَتَـرْفَـعَ بُهْتَـانـاً عَلَى كُلِّ ظَاهِـرِ

★ ★ ★

فيَا حَسْرَتَـاه كَيْفَ لم يُشـفِـقِ الـنُّهَـى
على شَرَفٍ دامٍ وعِـرْضٍ حَرَائِـر

عَلَى القُـدْس...! جِلْبَـابُ الـظَّلاَم يَلُفُّهَـا
وَأمْجَـادُهَـا مَنْـثُـورَةٌ كَالجَـوَاهِـرِ

عَلَى كُلّ شِبْرٍ من فِلَسْـطِينَ لَمْ يَكُـنْ
سِوَى نَفَـحَـاتٍ مِنْ أَبِيٍّ وصَـابِـرِ

سِوَى خَفَقَـاتِ الـوَحْيِ...! يُنـدِي رُبُـوعَهـا
وَيَسْـكُـبُ من فَيْضٍ ويَهْـمِـي بِعَـاطِـرِ

عَلَى أُمَّـةٍ[1] ما أخْـرَجَ الـلّهُ مِثـلَهـا
إلى الـنّـاس أنْـوَاراً وَطِـيبَ مَآثـرِ

★ ★ ★

فَوَا أسَـفَـا أن ضَيَّعَ الحـقّ «جـاهِـلٌ»
وَمَـزّقَـهُ بَيْنَ المِـدَى والخَـنـاجِـرِ

فَأهْـوَى بِهِ «الـسَّـفّـاحُ» بَيْنَ مَدَافِـعٍ
تُدَوِّي وَمَـكْـرٍ مِنْ غَوَايَةِ كافِـرِ

★ ★ ★

فَمَا كان إبْـراهِـيم إلّا مُصَـدِّقـاً
بأحْمَـدَ بَرّاً، عاطِـراً بالـبَـشَـائِـرِ

ورتَّـلَهَـا دَاوُدُ نَفْـحَ نُبُـوّةٍ
وَرَجَّـعَ تَحْنَـانـاً وخَـفْـقَ مَزَامِـرِ

وَصَـانَ سُلَيْمَانُ الحَـكِـيمُ أمَـانَـةً
لأحْمَـدَ يُوفِـيهَـا نَدِيَّةَ شاكِـرِ

أُولئِـكَ... مَـا سَاسُـوا الـدِّيارَ بِعِـرْقِـهِـمْ
وَلاَ مَلَكُـوْهَـا جَاهِـلِيَّةَ سَادِرِ

---

(١) هِي أمّة الإسلام إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كنتم خير أُمّة أُخرِجَتْ للنّاس...﴾ (آل عمران: ١١٠)

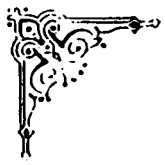

وَلَـكِـنَّهَـا كانَـتْ صَفِـيَّ أَمَـانَـةٍ
وعَـهْـداً يُؤَدَّى بَعْـدَ حِينٍ لِقَـادِرِ

وَرَفَّـتْ عَلَى عِيْسَـى الـنُّـبُـوَّةُ والـتَـقَـتْ
عَلَى سَاحَـةِ الأَقْـصَـى شُفُـوفُ بَصَـائِـرِ

فَأَمَّـهُـمُ الْمُـخْـتَـارُ أَحْمَـدُ سَيِّداً
لِيَجْـمَـعَ مِنْ مَاضٍ زَكِـيٍّ وَحَـاضِرِ

وَيُمْضِي عَلَى الأَيَّامِ دَعْـوَةَ رَبِّـه
جِهَـادَ مَيَامِـينٍ ونَـفْـحَ أَزَاهِـرِ

وَتَـتَّـصِـلُ الأَزْمَـانُ..... بَيْنَ طُيُوفِـهَـا
نُبُـوَّةُ إِسْـلام وصِـدْقُ أَوَاصِرِ

ويُصْـبِـحُ للإِسـلام مُلْكُ رُبُـوعِـهَـا
وعَـهْـدٌ أَمِيـنٌ لَا يُرَدُّ لِفَـاجِـرِ

فَذَلِـكَ إِرْثُ الأَنْـبِـيَاءِ.... دِيارُهُـمْ
مَرَابِـعُ تَوْحِـيْدٍ وَخَـفْـقُ مَنَـابِـرِ

★ ★ ★

فَوَا أَسَـفَـا أَنْ ضَيَّعَ الـعَـهْـدَ جَاهِـلٌ
وَغَـيَّبَـه فِي سَادِرَاتِ الـدَّيَاجِـرِ

وَمَـزَّقَ مِيثَـاقَ الـنُـبـوَّةِ كُلَّهـا
وَأَلْـقَـى به...! كِبْرَ الـشَّـقِـيِّ الْمُـغَـامِـرِ

* * *

رَحَـلْتَ...! وَفِي كَفَّـيْكَ غُصَّـةُ أُمَّـةٍ
وَأَشْـلاَءُ تَارِيخٍ وَبَـحَّـةُ زَاجِـرِ

حَمَلْتَ لهم غُصْـنَـاً...! فأيْنَ اخْضِرَارُهُ
وَقَـدْ ذَوَّبَـتْـهُ قَانِـيَاتُ الجَـرَائِـرِ

وأيُّ هَدِيلٍ للحَـمَامِ إذَا نَزَتْ
عليه شِفَـارٌ من وَمِـيضِ الـبَـوَاتِـرِ

وأيّ سَلامٍ تَرْتجِـيه إذا انْـحَـنَـتْ
عَلَى قَدَمٍ هامٌ ورعْـشَـةُ صَاغِـرِ

فَبِـعْـتَ لَهُمْ داراً وأيْكـاً وسـاحـةً
ومَـلْعَـبَ أمْجَـادٍ وَحُـرْقَـةَ صَابِـرِ

وَبِـعْـتَ لَهُمْ شَعْـبـاً وَتَـارِيخَ أُمَّـةٍ
وَزَهْـواً تَهَاوَى تَحْتَ نَزْوَةِ خَائِـرِ

* * *

فَأيَّ يَدٍ صَافَـحْـتَ...! مِلْءُ بُطُونِهَا
مَذَابـحُ...! أدْمَـتْ كلَّ قَلْبٍ وخَـاطِـرِ

أَكَـفُّ «مَـنَـاحِيم»... ! أَظَـافِـرُ ثَعْـلَب
ومِـدْيَةُ جَزَّارٍ وحِـقْـدُ مُجَاهِـرِ

أصـافَـحْـتَـهـا... والـرِّجْسُ بَيْنَ عُرُوقِهـا
تَدَفَّـقُ أَمْـوَاجَ الخَـطَايَا الـزَّوَاخِـرِ

تصـافَـحْـتُـما... «والـدَّيْرُ» ما زال نَازِفـاً
عَلَى غَاضِـبٍ بَيْنَ الـنَّـجـيع وَفَـائِـرِ

تَصَـافَـحْـتُـما... ! بين ابْـتِـسَـامَـةِ مُجْرِمٍ
عَتِيٍّ وكَـيْدٍ مِنْ غَوِيٍّ مُحَاذِرِ

فَيَا «دَيْرَ يَاسِـينٍ» أَطِـلَّ بِلَعْـنَـةٍ
تُزَلْـزِلُ أَقْـدَامَ الـطُّغَـاةِ الجَـبَـابِـرِ

★ ★ ★

فَيَا أَيُّهَـا الأَقْـصَـى... ! أَنِينُـكَ مُوْجِـعٌ
حَنِـيـنُـكَ أَصْـدَاءُ الـعُـصُـورِ الـغَـوَابِـرِ

وَشَـوْقُـكَ ذَوْبُ الخَـالِـيَاتِ من الـرُّؤى
لِرَنَّـةِ أَنْـصَـالٍ وَوَقْـعِ حَوَافِـرِ

وخَـفْـقَـةِ رايات وَعِـزَّةِ فَاتِـحٍ
يَمُـوجُ صَدَاهَـا في دَوِيِّ الحَـنَـاجِـرِ

عَصَرْتَ غَنِيَّ الـذِّكْـرَيَاتِ بِدَمْـعَـةٍ
عَلَى هُدُبٍ تُغْضِي ونَـوْحِ سَرَائِـرِ

فَيَا«عُمَـرُ الفـاروقُ»... أيْنَ صَدَى الخُطَى
إلى المَسْـجِـدِ الأقْـصَـى وإشْراقُ زَائِـرِ

وأيْنَ طُيوفُ المَـجْـدِ حولَـكَ وَالـتُّـقَـى
وَأنْـداؤُه رَفَّـتْ على كُلِّ زاهِـرِ

تَواضَـعْـتَ... مَا غَضَّ الإبـاءُ جُفُـونَـهُ
عَدَلْـتَ... فما ذَلَّتْ طُيُوفُ مَنَـائِـرِ

وَهَـبْـتَ... وَمَـا ضَيَّعْـتَ حقًّـا لِخَالِـقٍ
عَفَـوْتَ... وَفِيْ كَفَّـيْكَ عِزَّةُ ظَافِـرِ

وَجَمَّـعْـتَ أَشْـتَـاتَ الأَمَـانَـةِ كُلِّهـا
ونـظَّمْـتَـهَـا عِقْـداً كَرِيْمَ الجَـوَاهِـرِ

★ ★ ★

فَيَا أمَّـةً... قَصَّـفْـتِ في سَاحِـكِ القَـنَـا
وأحْـنَـيتِ للأوْثَـانِ هَامَـةَ خَاسِرِ

بَعُـدْتِ عَنِ الـرَّحْمٰنِ فاشْـقَـيْ وَوَلْـولِي
عَلَى غُصَصٍ مَلْأى بِقَـيْحِ الجَـرَائِـرِ

ألا رَجُـلٌ تَهْتَـزُّ مِنْـهُ إبَـاءَةٌ
وتـغْـضَـبُ للرَّحْمٰـنِ نَخْـوَةُ بَاتِـرِ

نَشِـيدُكِ أَحْـزَانُ المَـآتِـمِ فادْمَـعِـي
ومَجْـدُكِ طَيَّاتُ الـثَّـرَى والمَـقـابِـرِ
١٩٧٧

* * *

في السياسة الدولية اليوم أسواق، تضطرب فيها المساومات وتهدر الحقوق والمروءات. وقد حملت أمتنا إلى هذه الأسواق. . .

أسواق

أَسْعِفِينِي إِذَا اسْتَطَعْتِ بِشَيْءٍ
مِنْ بَيَانٍ وَوَثْبَةٍ مِنْ خَيَالِ

قَصَّرَتْ دُونَهَا الْعُقُولُ وَنَاءَتْ
بِالأَسَى تَحْتَ وَطْأَةِ الأَثْقَالِ

إِنَّهَا لَوْعَةُ الْفَجِيعَةِ أَمْوَا
جُ لَيَالٍ حُبْلَى وَرَجْفُ جِبَالِ

إِنَّهَا ذِلَّةُ الْهَزِيمَةِ، أَنَّوَا
ءُ ضَيَاعٍ، عَوَاصِفٌ مِنْ رِمَالِ

تَتَلَوَّى الآفَاقُ فِي مَهْمَهٍ دَا
جٍ بَعِيدٍ مُرَوَّعِ الآمَالِ

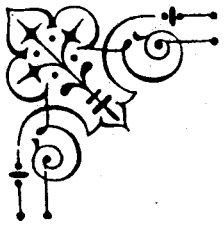

إنّها أُمَّـةٌ تُبـاعُ بسُـوقٍ
عَفِـنٍ مِن نِخَـاسَـةٍ وَآغْـتِـيَالِ

★ ★ ★

أُمَّـةٌ... هٰاهُـنـا... تُبَـاعُ وَتُـلْقِـيْ
هَامَـةَ الـذُّلِّ بَيْنَ خَفْـقِ الـنِّـعَـالِ

كُلُّ تُجّارِهِ نُيُوْبُ ذِئـابٍ
وأظَـافِـيُر ثَعْـلَبٍ مُحْتَـالِ

كُلُّ سَادَاتِـهِ مَطَايا عَبِـيْدٍ
رَاضَـهـا الـسَّـوْطُ تَحْتَ شَدِّ الـرِّحَـالِ

الْمُـرُوْءَاتُ هَاوِيَاتٌ دوامٍ
تَحْتَ أَقْـدَامِ مُجْرِمٍ قَتّـالِ

في زَوَاياهُ هَمْسَـةُ الشَّرِّ تَسْرِيْ
وَعَـلَى سَاحِـهِ شُرورُ الـفِـعَـالِ

الـعِـصَـابَـاتُ، وَالـلُّصُـوْصُ، وإجْـرَا
مٌ وَحَـشْـدٌ مِنَ الأَسَـى والـنَّـكَـالِ

سَاحَـةُ الـكُـفْـرِ...! دَامِـيَاتُ المآسِي
تَتَـنَـزّى بِها وجَـوْرُ الـضَّـلَالِ

جَمَعَتْهَا «صِهْيَوْنُ» في غَفْلَةِ الـعُـمْـ
ـرِ وَفي زَهْوَةٍ لَهَا وَوِصَالِ

جَعَلُوْهَا «مُعَسْكَراً» كَادَ يَمْضِي
مِنْ ثَنَايَاهُ دَعْوَةُ «الدَّجّالِ»

رَفَعُوْا رَايَةً تَحَدَّوْا بِهَا اللّـ
ـهَ وَظَنُّوْا نَجَاتَهُمْ في الخِتَالِ

غَرَّهُم مَا رَأَوْه مِنْ نِعْمَةِ اللّـ
ـهِ وَمَا مَدَّهُ لَهُمْ مِنْ حِبَالِ

حَسِبُوا أَنَّ مَكْرَهُمْ هُوَ أَبْقَى
وَرَأَوْا غَيَّهُمْ طَوِيلَ المَجَالِ

وَيَحَهُمْ...! لَا يَرَوْنَ آياً من اللّـ
ـه وَحُكْمًا مَعَ القُرُونِ الخَوَالِي

سُنَّةُ الله سَوْفَ تَمْضِي فَيَلْقَوْ
نَ بِمَا يَكْسِبُوْن سُوْءَ المَآلِ

★ ★ ★

أيُّ سُوْق تَمُوجُ فِيْهِ الشَكَالى
والأَيَامَى وَحَيْرَةُ الأَطْفَالِ

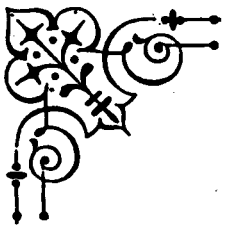

وَضَجِيجُ الآثامِ : أنَّةُ مَفْجُوْ
عٍ وَرَجْعُ النَّوَاحِ وَالإعْوَالِ

وَالضَّحَايا مِنَ الشُّعُوبِ قَطِيعٌ
يَتَلَوَّى فِيْ زَحْمَةٍ مِنْ ثَعَالي

نَهْمَةُ المَوْتِ أَطْلَقَتْ مِن يَدَيْها
وَثَبَاتِ الوُحُوْشِ والأَدْغَالِ

فَتَرَامَتْ... هُنَاكَ... تَشْغُو على مُدْ
يَةِ جَزَّارٍ وَتَنْحَنِي لِنِصَالِ

* * *

أُمَّةً...! هاهنا تُسَاقُ وأَمْجَا
دٌ تُنَادِيْ وذِكْرَياتٌ خَوَالي

حَمَلُوْهَا إلَيْهِ مِنْ بَيْنِ آمَا
لٍ وَشَوْقٍ وأُمْنِيَاتٍ غَوَالي

نَزَعُوْا كُلَّ حِلْيَةٍ مِنْ يَدَيْهَا
مِنْ جَبِيْنٍ مَرَصَّعٍ بالَلآلي

سَرَقُوْا كُلَّ جَوْهَرٍ شَعَّ في اللَّيـ
ـلِ، كَرِيْمٍ مُضَمَّخٍ بِالجَمَالِ

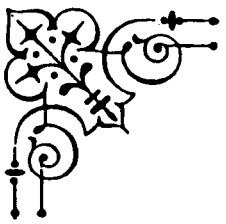

رَفَعُوْا عَنْ خُدُودِها طَلْعَةَ الوَرْ
دِ وَعن جَفْنِها التفَاتَ الغَزَالِ

نَزَعُوْا ثَوْبَهَا الغَنِيَّ وَأَلْقَوْا
مِنْ بَقَايَا الخُرُوق والأَسْمَالِ

حَمَلُوْها... مِنْ أَمْسِها الحُلْوِ من دا
رٍ وَأَيْكٍ وَرَبْوةٍ وظِلالِ

مِنْ بَنِيْها... عَلَى جُفُونِهِمُ الدَّمْـ
ـعُ وَرَيُّ التَّارِيْخِ والأَجْيَالِ

وَعَلَى الجُرْحِ غُصَّةُ المَجْدِ تَدْمَى
بَيْنَ ذِكْرَى وَلَهْفَةٍ وابْتِهالِ

حَمَلُوْهَا هُنَاكَ ثُمَّ رَمَوْها
فِي زوَايا النِّسْيانِ والإِهْمَالِ

سِلْعَةً لَمْ تَعُدْ مَعَ الهَوْنِ تَلْقَى
لَفْتَةَ العَيْنِ أَوْ هَوَى الإِقْبَالِ

تَتَلَهَّى بأَنَّةِ المَعْصَمِ الدَّا
مِي وَشَكْوَى الرِّقَابِ للأَغْلالِ

* * *

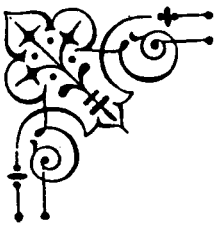

أُمَّـةٌ... ها هُنـا تُبـاعُ وَيَمْضِي
حَوْلَهَـا المـجْـدُ وَمْـضَـةً مِنْ خَيالِ

ذِكـرَياتٌ مُزَنَّـحـاتٌ...! وأَشْـوا
قٌ حَيَارَى.. تَطَلَّعَـتْ للمـعَـالِي

ذُوِّبَـتْ كُلُّهـا دُمُـوعـاً عَلَى الجَفْـ
ـنِ وَفِي الحَـلْقِ غُصَّـةً مِنْ وِجَـالِ

الـذَّلـيلُ الـذي يَقُـودُ خُطَاهَـا
بَيْنَ عَـضِّ الحَـدِيْدِ والأثْـقَـالِ

يَحْتَـمِـيْ بالـظَّلام مِنْ مَوْكِـبِ الـنُّـو
رِ وَمِـنْ قُدْسِـهِ وَمِـنْ إجْـلَالِ

رَوَّعَـتْـهُ الأشـبَـاحُ في ظُلْمَـةِ الـوَهْـ
ـمِ وَرَنَّـاتِ صَرْخَـةٍ وخَـبَـالِ

هَلَعٌ يَنْـزِعُ الـضَّـلوعَ ويَرْمِـي
بِبَـقَـايا مَنْـخُـوْرَةٍ مِنْ خِصـالِ

يَرْتَمِي مُنْهَـكَ الـقُـوَى... ضـائـعَ الـقَـلْـ
ـبِ شَتِـيْتـاً عَلَى سَرَابِ رِمَـالِ

أَيْنَ يا «كـامـبُ» هَلْ رَأَيْتَ رِجَـالاً
حَمَلَتْ فِيْكَ خَصْـلَةً مِنْ رِجَـالِ

الـلـيالي الحَـمْـراءُ لَمْ تُخفِ سُوْداً
مِنْ نُفُـوْسٍ وظُـلْمَـةً مِنْ فِعَـالِ

بَيْنَ «بِـيْجِـنْ» و «كَـرْتَـرٍ»[1] رَعْـشَـةُ الخَـوْ
فِ رَمَـتْـهُ وَذِلَّـةٌ مِنْ سُؤَالِ

مَدَّ كَفَّـيْهِ مِنْ حُطَامٍ...! وَدَارَتْ
بَيْنَ عَيْنَـيْهِ لَهْفَـةُ الأَنْـذَالِ

أَنْـقِـذَاني...! يَا صَاحِـبَـيَّ فإنّي
بِعْـتُـكُـمْ كُلَّ أَيْكَـةٍ وظِـلالِ

كُلَّ دارٍ..وَرَبْـوَةٍ وأزاهِـيْـ
ـرَ وَشَـوْقَ الـرِّجَـالِ والأَطْـفَـالِ

وطُـيُوْفَ الـتَّـارِيخِ.. والشَّرَفَ الحَـقْـ
ـقَ وَزَهْـوَ الجِـهَـادِ والآمَـالِ

بِعْـتُـكُـمْ نَفْـحَـةَ الـبُراقِ وهـذا الـ
ـقُدْسَ نَفْـحَ الـعُـصُـورِ والأَجْـيَالِ

---

(١) بيجن : مناحيم بيغن رئيس وزراء دولة اليهود .
كرتر : چيمي كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية .

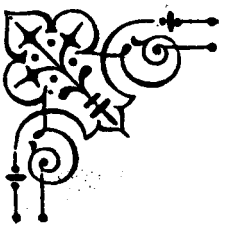

وَالمـيادِينَ والـقَـنَـا وَدِمَـاءً
فَجَّـرَتْهـا أسِـنَّـةُ الأبْـطالِ

بِعْـتُـكُـمْ مَا تَشـاؤون...! هذي دِيَارِي
وَدِيارُ الأعْـمَامِ والأخْـوالِ

كُلُّ هذا طَوَيْتُـهُ في غَيَابَـا
تٍ وَأَقْـحَـمْـتُـهُ ظَلامَ الـلَّيَالِي

كُلُّ صَوْتٍ قَتَـلْتُـهُ في حُلُوقٍ
رَجَـفَـتْ بَيْنَ بَحَّـةٍ وابْـتِـهـالِ

جُلُّ ما أَبْـتَـغِـيْهِ مِنْـكُـمْ وَأَرْجُـو
كِسْرَةً...! كَيْ أَسُـدَّ جُوْعَ «الـسِّـخَـالِ»

وَضَـعُـوْا في فَمِـي الـكَـلامَ لَعَـلِّي
أَصْـنَـعُ الـسِّـلْمَ مِنْ بَدِيْعِ مَقَـال

إنّ خَلْفِـي كَمَا عَلِمْـتُـمْ شُعُـوبـاً
بَيْنَ آذانِها قُلُوْبُ الـرِّجَـالِ

* * *

أَيْنَ هَذَا الـسَّـلام...! يَصْـنَـعُ فِيْهِ الْـ
مَوْتُ والشِّرْكُ رَعْـشَـةَ الإذلالِ

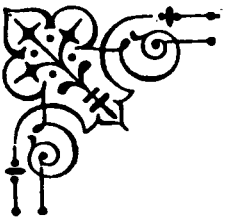

والـشّـيـاطِـيـنُ تَـنْـفـثُ الشرَّ فِيهِ
نافِـرَاتٍ بِمَـكْـرِهَـا الـقَـتَّـالِ

وَالخـفـافِـيشُ بَيْنَ تِلْكَ الـزّوايا
رَاعِـشَـاتٌ يَخَفْـنَ وَمْضَ نِصـالِ

يَا عَدُوَّ الـسَّـلامِ أيُّ سَلامٍ
تَرْتَجِـيهِ هُنَـاكَ... أيُّ نَوَالِ

نَفَـرَتْ رُوْحُـكَ الخـبـيثَـةُ للذُّلْـ
ـلِ عَلَى مَرْتَـعٍ وخـيْمٍ بالي

مَرْتَـعِ الـكُـفْـرِ...! حين وَالَـيْتَ أعْـدَا
ءً وأدْبَـرْتَ سَادِرَ الإدلالِ

لَوْ رَأيْتَ الإيمانَ باللهِ يَبْـنِي
أُمَّـةً أوْ يَصُـوغُ عَهْـدَ الـرّجـالِ

بَيْنَ نَصْرٍ مؤزَّرٍ وَحُـقُـوْقٍ
صَانَهَا مِنْ شَرِيْعَـةٍ وَكَـمالِ

وإبَـاءٍ مِنَ الـمُـرُوءَةِ والـعَـزْ
مِ وَبَـذْلِ الـنّـفُـوْسِ والأمْـوالِ

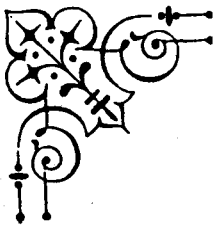

لَوْ رأيْتَ الإيْمَانَ يَدْفَعُ لِلْحَقْـ
ـق رِجَالاً تَجُودُ مِنْ كلِّ غالِ

أرْخَصَتْ أنْفُساً فَهَبَّتْ إلى المَوْ
تِ وَأغْلَتْ مِنَ الرَّجَا وَالمَنالِ

هكذا يُصْنَعُ السَّلامُ وَيُبْنَى
بِالقَنَا لا بِزُخْرُفِ الأقْوَالِ

بالتُّقَى... بِاليَقِين باللَّهِ بالدِّيْـ
ـنِ بِآياتِهِ بِسَاحِ نِزَالِ

أيُّهَا المُجْرِمُوْن مَهْمَا يَطُلْ لَيْـ
ـلٌ فَهَذِي بَوَارِقٌ مِنْ عَوَالِي

إنَّ لِلفَجْرِ مَوْعِداً يَطْلع الأفْـ
ـقُ عَلَيْهِ بِصَادِقٍ بَتَّالِ

★ ★ ★

يَا طُيُوْفَ الإيْمَانِ أيْنَ تَوَلَّيْـ
ـتِ وَخَلَّفْتِ سَاحَةً مِنْ قِتَالِ

المَيادِيْنُ لَمْ تَزَلْ تَحْمِلُ الشَّوْ
قَ نَدِيًّا مِنْ آيَةٍ وَبَلَالِ

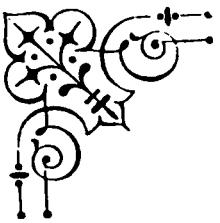

وَدَوِيُّ الـقُـرْآنِ في الأُفُـقُ المُـرْ
بدِّ أصْـدَاءُ خَالِـدٍ وَبِـلالِ

وَالـقَـنَـا يَقْـرَعُ الـقَـنَـا والأَهَـازِيـ
جُ وَوَمْضُ الـدِّمَـاءِ والأَنْـصَـالِ

والـرُّبَـى حَيْثُـمَا تَلَفَّـتُ، تَهْتَـزْ
زُ شَظايَا الـلّهَـيْبِ والإِشْـعَـالِ

لَمْ تَزَلْ كُلُّ حَبَّـةٍ مِنْ ثَرَاهـا
خَفْـقَـةَ المِسْـكِ أو ذَكـيِّ الـغَـوَالِي

لَمْ تَمُتْ يَا طُيُوفُ هذي المَـيَادِيـ
ـنُ وَمَـاتَـتْ عَزائِـمٌ مِنْ رِجَـالِ

الهَـوَانُ الـذّلـيلُ مَوْتٌ ذَلـيلٌ
وَالـرَّدَى فِي الجِـهَـادِ عَيْشٌ حَالِي

★ ★ ★

يَا فَلَسْـطِينُ....! يَارُبَى المَـسْـجِـدِ الأَقْـ
صَى...! حنـانَـيْكِ مِنْ أَسـىً قَتَّـالِ

أَيْنَ غُصْـنُ الـزَيْتُـوْنِ يَحْنُـوْ فَأَلْـقَـى
عِنْـدَهُ في الهَـجِـيْرِ بَرْدَ الـظِّلَالِ

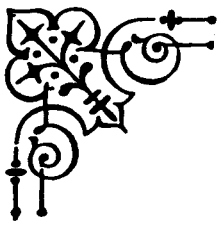

أيْنَ عِطْرُ الـلَّيْمُـوْنِ يَمْـلأُ أمْسِيْ
مِنْ شَذَاهُ....! أيْنَ أمْسِيْ الخَـالِي

أيْنَ ذِكْـرَى لَمْـتُـهَـا فِي الـبَـسَـاتِـيْـ
ـنِ عَلَى نَفْـحَـةٍ مِنَ الـبُرْتُـقَـالِ

زَهْـرَةَ الـلَّوْزِ....! ما شَمَـمْـتُـكِ إلاّ
ذِكَـرياتٍ رَجَـعْـنَ مِلءَ خَيَالِي

ذِكْـرَيَاتِ الجُـدُودِ تَغْـرِسُ فِي الأرْ
ضِ غِراسَ الجِـهَـادِ والأَفْـعَـالِ

وَالـوُرُودُ الـتِي تَشَـقَّـقَ عَنْهـا الـ
ـفَجْـرُ نَفْـحَ الـبُـكُـورِ وَالآصَـالِ

واخْضِرارُ الـعِـيْدَانِ وَالـوَرَقِ الـزّا
هِيْ عَلَى جَدْوَلٍ وَفَـوْقَ تِلالِ

والـتِـفَـافُ الأَعْـشَـابِ بَيْنَ الـسَّـوَاقِـي
والـعَـنَـاقِـيدُ بَيْنَهـا وَالـدَّوَالِي

وَثِـمَارٌ غَنِـيَّةٌ وَعَـطَايا
وَغُـصُـوْنٌ مَمْدُودَةُ الأَحْـمَـالِ

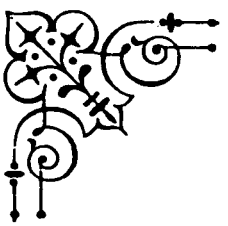

وَالـيَنَـابِـيْعُ شَقَّـتِ الـصَّـخـرَ عَنْهَـا
بِلُجَـيْنٍ وَأَقْـبَـلَتْ بِزُلَالِ

وَالـعَـصَـافِـيْرُ بَيْنَ أَعْـشَـاشِـهَـا الخُضْـ
ـرِ وَرَوْضٍ عَلَى صَدَاهَـا حَالِي

زَهَـرَاتٌ عَلَى الـمُـرُوجِ تَلَفَّـتْ
نَ، وَأَشْكَالٌ طَلَعْـنَ مِنْ أَشْـكَـالِ

ذَوَّبَـتْ لَوْنَهَا الجِـنَـانُ عَلَيْهَـا
وَسَـقَـتْـهَـا مِنْ كَوْثَـرٍ سلسَـالِ

وَيَدُ الله فَوْقَـهَـا بَرَكَـاتٌ
مُنْـزَلاتٌ بِفَـيضِـهَـا الـسَّـيَّال

فإذَا أَنْـتِ يَا فِلَسْـطِيْنُ نُوْرٌ
بَيْنَ وَادٍ وَهَـضْـبَـةٍ وَقِـلَال

شَعَّ فِيْ ظُلْمَـةِ الـدَّيَاجِـيْرِ يَرْوِي
بِحُـرُوفٍ مِنْ نُوْرِه الـمُـتَـلَالي

بِحُـرُوفٍ تَدُورُ حَوْلَ رُبَاهَـا
وَسَـمَاءٍ وأَنْـجُـمٍ وَهِـلَالِ

وَهـيَ تَتْـلُوْ: «الـلّهُ أكْـبَرُ». . . أَصْـغِـي
وَاخْـشَـعِـي يَا رُبَـى لِهٰذَا الجَـلالِ

أنْـتِ حقّ الإِسْـلامِ. . . لُؤْلُـؤَةُ الإِيْـ
ـمَانِ. . . دَارُ الجِـهـادِ والأَمْـثَـالِ

أنْـتِ عَهْـدٌ مَضَـى لأَحْمَـدَ بالأَقْـ
ـصَـى نَدِيًّا عَلَى جَدِيدِ الـلَّيالي

وَالـنُّـبُـوَاتُ وَمْـضَـةٌ مِنْ غُيُوْبِ
شَهِـدَتْـهُ وَوَثَّـقَـتْ مِنْ جِبَـالِ

أمَّـهَـا أحْمَـدٌ. . . فهاجَـتْ قُرونٌ
وَاسْـتَـفَـاقَـتْ عَلى نِدَاءٍ عَالي

وَبُرَاقٌ يَشُـقَ بالأُفُـقِ الأعْـ
ـلى غُيوبـاً وَيرْتَـقِـي لِنـوَالِ

بَيْنَ جُنْـحَـيه رَفَّ مِنْ طَرَبِ الـشَّـوْ
قِ أرِيجٌ وفَـاحَ مِنْ إِقْـبَـالِ

★ ★ ★

١٣٩٩/١/٢٠
١٩٧٨/١٢/٢٠

إلى كل مسلم أَغْرَتْهُ الدنيا بلَهْوِهَا فَجرَى وراءها وَخَلَّفَ ميدان الجهاد. . . وأعداء أمة الإسلام يمكرون ويَتَربصون .

فما زالتْ لدينا بقيَّة

رُوَيْدَكَ. . . ! كَمْ هَيَّجْتَ مِنِّي أَمَانِيَا
وَرَجَّعْتَ مِنْ ذِكْرَى اللَّيَالِي لَيَالِيَا

فَنَاشَدْتُ مِنْ عَهْدِ الوِدَادِ وَصَفْوِهِ
لَعَلَّكَ تُصْغِي لِي فَمَا أَنْتَ صَاغِيَا

لَهَوْتَ مَعَ الدُّنْيَا وَغَرَّكَ حَالُهَا
فَتَسْكُبُ أَحْلَامًا وَتَنْهَلُ سَالِيَا

عَتِبْتُ. . على رُشْدٍ يَضِيْعُ وَمُهْجَةٍ
تَذُوبُ وَوَهْمٍ ظَلَّ حَوْلَكَ دَاعِيَا

وَمَا كَانَ عَتْبِي غَيْرَ نُصْحٍ مُؤَمَّلٍ
إِلَيك صَلَاحًا لا يَرُدُّ رجَائِيَا

إِذَا زِدْتُ فِي نُصْحِي تَزِيْدُ ضَلاَلَةً
وَتُمْعِنُ فِي لَهْوٍ وَتُدْبِرُ جَافِيَا

فَهَلْ رَوَتِ الأَيَّامُ مِنْكَ صَبَابَةً
وَحُرْقَةَ نَارِ الشَّوْقِ. . . أَمْ عُدْتَ صَادِيَا. . !

وَمَا الْعَتْبُ إِلاَّ غَايَةُ الوُدِّ بَيْنَنَا
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ كَتَمْتُ عِتَابِيَا

★ ★ ★

وَأَمَّا حَيَاتِي فَهْيَ دَفْقُ مَشَاعِرٍ
وَخَفْقَةُ آمَالٍ تَشُقُّ مَسَارِيَا

فَمَا «صَفَدٌ» تَسْتَلُّ هَمِّي بِبَانِها
وَلاَ غِيْدُ «عَكَّا» تَسْتَطِيعُ اجْتِذَابِيَا

وَلَكِنَّ لِيْ فِي كُلِّ أَرْضٍ مَرَابِعَاً
إِذَا جِئْتُ مَهْمُومًا نَسِيتُ شَقَائِيَا

لَدَى «البَحْرِة» «الزرقاء»[1] تَلْقَى مَعَالِماً
وَتُبْصِرُ آيَاتٍ وَتُحْيِيْ أَمَانِيَا

---

(١) بحيرة طبريا من الرجوم في صفد.

أَمَـامَـكَ...! فانـظُرْ أيَّ لَوْنٍ تشـاؤه
تَمَايَلَ أَنْـجَـاداً وَصَـفَّـقَ وَادِيَا

وَتَـسْـكُـبُ فِيْهِ الـشَّـمْسُ حلْياً مُذَهَّـبـاً
فَيَنْـثُـرُ وَرْداً أَوْ يَفُضُّ أَقَـاحِـيَا

يَمُـوجُ عَلَى شَتَّـى الـطُيُوفِ أَرِيْجُـهُ
فيُرجِـعُـهُ بَيْنَ الـظِّلَالِ أَغَـانِـيَا

إذا ما كَسَـاهَـا الـلَّيْلُ مَوْجَ غِلالَـةٍ
وَأَلْـقَـى عَلَيْهَـا جَوْهَـراً وَدَرَارِيَا

يَرُدُّ غِلَالَاتِ الـدُّجَـى ويُزِيْحُـهَـا
وَيُبْـقِـي عَلَيْهَـا الـبَـدْرُ مَا كَانَ غَالِـيَا

وَيَكْـشِـفُ مِنْ بَيْنِ الـرَّوَابِي بَهَاءَهَـا
وَيَسْـكُـبُ شَلَّالاً مِنَ الـنُّـورِ ضَافِـيَا

هُنَـالِـكَ فَانْـظُرْ... حَيْثُ مَامِـلْتَ آيَةً
وَرَعْـشَـةُ تَسْـبِـيحٍ تَلُفُّ الـنَّـوَاحِـيَا

★ ★ ★

نَزَعْـتَ إلى دَارٍ تَمُوجُ بِلَهْـوِهَـا
فَهَـلْ رفَـعَـتْ هَماً على الـقَـلْبِ جَاثِيَا...!

هُنَالِكَ أَنْغَامُ الضَّيَاعِ تَبَعْثَرَتْ
عَلَى رَقَصَاتٍ نَازِفَاتٍ مَسَاوِيَا

نَشَاوَى يُعَانِقْنَ الغَوَايَةَ شَهْوَةً
وَيَسْكُبْنَهَا أَنَّى الْتَفَتَّ مَجَارِيَا

تَعَرَّيْنَ إِلاَّ مِنْ شُفُوفِ غِلاَلَةٍ
بَلِينَ عَلَى وَهْجِ الضُّلُوعِ حَوَانِيَا

عَلَى سَاعِدٍ رَخْصٍ تَغِيْبُ بَلالَةٌ
وَتَطوِي عَلَى رَفِّ النُّهُودِ غَوَالِيَا

وَتَضْوِي ذُبَالاتُ النُّهَى بَيْنَ هَمْسَةٍ
وَرَعْشَةِ شَوْقٍ تَتْرُكُ القَلْبَ ظَامِيَا

★ ★ ★

أُولَئِكَ غَابُوْا فِي دَيَاجِيرِ سِكْرَةٍ
وَلَمْ تُبْقِ لَذَّاتُ الغَوَايَةِ صَاحِيَا

وَخَلْفَهُمُ مَكْرُ العَدُوِّ وَبَأْسُهُ
يُعِدُّ إِلى يَوْمِ اللِّقَاءِ العَوَالِيَا

يَمُدُّ لَنَا لَهْواً نَعُبُّ عُبَابَهُ
وَيُجْرِيْ لَنَا بَحْراً وَيُجْرِي سَوَاقِيَا

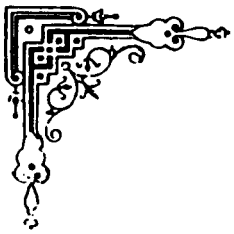
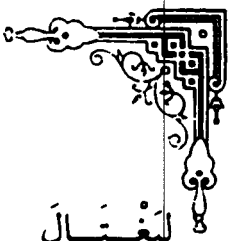

لِيَغْتَالَ آمَالاً وينْهَبَ نَخْوَةً
ويَطْحَنَ عَزْمًا أَوْ يَجُزَّ النَّواصِيَا

أَخَيَّ...! أَلا تَصْحُو...! أَتَبْقَى مُمَزَّقًا
شَتِيْتًا عَلَى الأَهْوَاءِ تَلْهَثُ جَارِيَا

تَقَدَّمْ...! فَمَا زَالَتْ لَدَيْنَا بَقِيَّةٌ
مِنَ العَزْمِ تَسْتَنْهِضْ عُصُوراً خَوَالِيَا

هَلُمَّ...! فَمَا زَالَتْ بَقِيَّةُ نَخْوَةٍ
إِذَا عَصَفَتْ هَزَّتْ جِبَالاً رَوَاسِيَا

فَوَاعَجَبًا يا دَارُ... كَمْ هَزَّكِ الهَوَى
وَكَمْ لَجَّ فِي سَاحَاتِكِ الشَّوْقُ داعِيَا

أُولَئِكَ أَنْسَابُ البُطُولَةِ جَرَّدُوا
عَلَى الرَّوْعِ أَنْصالاً وَشَقُّوا الدَّواجِيَا

يَصُوغُهُمُ الإِيْمَانُ جَوْهَرَ هِمَّةٍ
وَيَنْثُرُهُمْ بَيْنَ اللَّيَالِي دَرَارِيَا

فَأَيُّ الرَّوابِي لَمْ تُرَوِّ دِمَاؤُهُمْ
عَلَى نَفَحَاتِ المَجْدِ تُزْكِي مَعَالِيَا

مِنَ الصِّينِ تَنْفَضُّ الوُرُودُ بِعِطْرِهِمْ
إلى المَغْرِبِ الأَقْصَى وَتُزْكِي النَّوادِيَا

١٩٤٧[١]

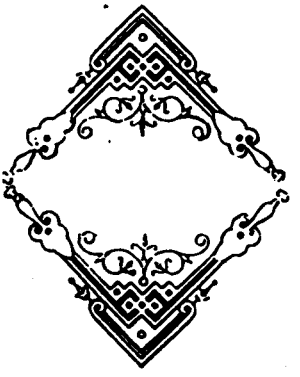

[١] أضيف إليها أبيات عام ١٩٧٥

آيَةٌ فِي السَّبِيل

في مدينة حلب. . . دعاهُ أصحابه إلى «السبيل» وهو متنزه جميل . . . فرَأى هنالك آية وعِبْرَة.

آيَةٌ في السّبيل

هَيَّجُوهُ بِالذِّكْرَيَاتِ الحَيَارَى
وَأَثَارُوا حَنِيْنَهُ وَأَثَارَا

ذِكْرَيَاتٌ مُبَعْثَرَاتٌ مَعَ العُمْـ
ـرِ أزَاحُوا وِشَاحَهَا والسِّتَارَا

ضَمَّهَا مِنْ صِبَاهُ جَفْنٌ خَلِيٌّ
كُلَّمَا حنَّ دَاعَبَ الأَوْتَارَا

وَدَعَوْهُ إلى «السَّبِيل» فَغَنَّى
لَيْلَهُ وَالعَشِيَّ والأَسْحَارا

وَمَعَانِي الهَوَى عَلَى شَفَتَيْهِ
تَائِهَاتٍ فلَمَّهَا أَشْعَارا

وَعَـلى جَفْـنِـهِ رُؤى غَافِـيَاتٌ
فَأَفَـاقَـتْ رِضـاً وَلاَنَـتْ عَذَارَى

وَالخَـيَالُ الشَّرُوْدُ مَوْجُ طُيُوفٍ
يَتَـحَـرَّى مِنْ بَيْنِهَـا الأَبْـكَـارَا

فَتَـنَـاوَلْـتَ يَا «سَـبِـيْلُ» غِرَاسـاً
مِنْ رُؤَاهُ سَقَـيْتَـهَـا وَثِـمَارَا

وَانْـتَـقَـيْتَ الْمُـرُوجَ آفَـاقَ أَلْحَـا
ظٍ وَمِـنْ زَهْـوَةِ الـصِّـبَـا أَزْهَـارا

لَمْ تَدَعْ وَرْدَةً عَلَى خَدِّ حَسْـنَـا
ءَ وَلاَ فُلَّةً وَلاَ جُلَّنَـارا

وَنَـدِيَّ الـظِّلاَلِ . . . ! دُنْـيَا جُفُـونٍ
كَمْ أَعَـارَتْـكَ هَمْسَـةً وَسِرَارَا

وَالـغُـصُـونَ الـلِّدَانَ . . . رَفَّ الـصَّـبَـايا
عَطَفَـتْ رِقَّـةً وَمَـالَـتْ نِفَـارَا

وَجَـرى المـاءُ . . . ضَفَّتَاهُ طُيُوفٌ
حَمَلَتْ مِنْـهُ فِضَّـةً وَنُـضَـارا

وَمَـضَـتْ حَوْلَـهُ تَفُضُّ مِنَ الـنَّـجْـ
ـوَى هَوَاهَـا وَهَمْـسَـةً وَحِـوارَا

بُرْعُـمًا زَقَّ بُرْعُـمًا وَصَـبَـايَا
نَافِـرَاتٍ مِنَ الـصَّـبَـايَا غَيَارَى

يَمْـرَحُ الـطَّيْرُ... تَحْتَ كُلِّ جَنـاحَـيْـ
ـنِ هَوَى حائِـرُ الـصَّـدَى يَتَـوارَى

الـنَّـسِـيمُ الـعَـلِيلُ، أَمْ خفَـقَـةُ المـا
ءِ أَعَـادَتْ مِنَ الـصَّـدَى أَخْـبَـارا

أَمْ رَفِـيفُ الـغُـصُـونِ... ! أَمْ أَنَّـةُ الْـشَّـوْ
قِ تَهُزُّ الحِـلَى وَتُـغْـرِي الـسِّـوَارَا

أَيُّ لَحْنٍ مُرَجَّـعٍ مِنْ خَيَالٍ
لَمْ تُرَجِّـعْـهُ بُلْبُـلاً وَهَـزَارَا

★ ★ ★

أَيُّ مَغْـنَـى تَخْضَـلُّ مِنْـهُ الـلَّيَالِي
فَضَّ أَكْـمَامَـهُ وَنَـظَّمَ غَارَا

أَيُّ لَوْنٍ مُخَضَّـلٍ مِنْ جَمَالٍ
لَمْ يَفُضَّ الـسَّـبِـيلُ عَنْـهُ سِتَـارا

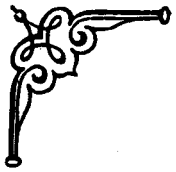
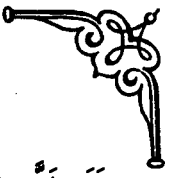

نَتَـلَقَّـاهُ مَائِـجًـا فِي شَذَاهُ
مُلْقِـيًا مِنْ ظِلَالِـهِ أَنْـوَارَا

وَالـصِّـبَـا لَمْ تَزَلْ عَلَى وَجْـنَـتَـيْهِ
حُمْرَةُ الـشَّـوقِ خِلْسَةً وَجَـهَـارَا

هِيَ كَالـشَّـمْسِ حِينَ تَسْـبَـحُ فِي الأُفْـ
ـقِ شُعَـاعًـا مُمَوَّجًـا وَشَرَارَا

لَانَ بَيْن الـسَّـحَـابِ وشْـيًا فَلَمَّا
ضَمَّـهَـا ردَّ وشْـيَهُ زُنَّـارَا

هكَـذَا يَعْـبَـثُ الهَـوَى عِنْـدَ خدَّيْـ
ـهِ فَتُـلْقِـي هُنَـاكَ نُوْراً ونَـارَا

وَعَـلَى مُقْـلَتَـيْهِ تَنْـتَـفِضُ الـسُّـحْـ
ـبُ وَتَـغْـفُـو نَدِيَّةً وَسُـكَـارَى

لَمْ تَزَلْ عِنْـدَهَـا بَقِـيَّةُ أَطْـيَا
فِ تَلُمُّ الـخُطَا وَتَـطْوِي الإِزَارَا

وَشَـظَايَا مِنَ الـصَّـدَى وَبَـقَـايَا
مِنْ رُؤَى نَشْـوَةِ الـصِّـبَـا والـعَـذَارَى

وَطَوَى الفَجْرُ ما تَخَلَّفَ مِنْهَا
وَذُيُولاً تَعَثَّرَتْ وَإِزَارَا

* * *

وانْقَضَى اللَّيْلُ حَوْلَهُ وَبَقَايَا
لَمْ تَزَلْ مِنْهُ مُثْقَلاَتٍ حَيَارَى

غَابَ ذَاكَ الجَمَالُ لَمْ يَبْقَ إِلاَّ
أَثَرًا...! هَلْ تَرَى لَه آثَارا

أَيْنَ تِلْكَ الخُدُودُ...! أَيْنَ جُفُونٌ
أَيْنَ ذَاكَ الصِّبَا أَثَارَ وَثَارَا

غَابَ فِي وَمْضَةِ الزَّمَانِ وَمَا تَدْ
رِي خُطَاهُ دُرُوبَهَا والمَسَارا

غَابَ فِي حَمْأَةٍ مِنَ الوَهْمِ يَلْقَى
مِنْ حُمَيَّاهُ فِتْنَةً وعِثَارَا

وَانْجَلَى مِنْ مَوَاكِبِ الفَجْرِ آيَا
تٌ تَشُدُّ القُلُوبَ والأَبْصَارَا

فالسُّكُونُ النَّدِيّ يَنْطِقُ بِالحَقْ
قِ بَيَانًا عَلَى المَسَامِعِ دَارَا

وَرَفِـيْفُ الـوُرُوْدِ لَيْسَ صَبَـابَـا
تٍ لِدَانُ الـغُـصُـون لَيْسَـت عَذَارَى

والـنَّـدَى لم يَكُـنْ دُمُـوعَ الـغَـوَانِي
والأَزاهِـيْرُ لَمْ يَكُـنَّ سُكَـارَى

كَانَ نَفْـحًـا مِنَ الخُـشُـوعِ نَدِيًّا
وَجَـلالاً يَفُـضُّـهُ أَنْـوَارَا

وَدُعَـاءً يَمُـوجُ في عَالَمِ الـصَّـمْـ
ـتِ يُنَـدِّي الـتَّـسْـبِـيحَ والأَذْكَـارا

وَنِـدَاءً عَلَى صَدَاهُ الـلَّيَالِي
رَجَّـعَـتْ هَدْيَهُ وَخَـاضَـتْ غِمَارَا

وَانْـتَـشَـتْ زَهْـوَةً فَأَغْـضَـتْ حَيَاءً
وانَـحَـنَـتْ مِنْ جَلَالِـهِ إِكْـبَـارَا

عَالَمَ الحَـقِّ، وَالـشَّـذَا من طُيُوفٍ
رَفْـرَفَـتْ في خُشُـوعِـهَـا أَطْـهَـارَا

* * *

عَالَمَ الـوَهْـم...! كَمْ قَتَـلْتَ نُفُـوساً
وأَضَـعْـتَ الـشَّـبَـابَ والأَعْـمَارَا

وَثَبَتْ شَهْوَةُ الذِّئَابِ عَلَيْهِ
عَادِيَاتٍ وَأَنْشَبَتْ أَظْفَارَا

نَزَعَتْ نابَهَا المُدمَّى وألْقَتْ
بالضَّحَايَا وَأَدْبَرَتْ إِدْبَارَا

أَيُّ تِيهٍ تَمُوجُ فِيهِ اللَّيَالِي
وَتُدَوِّي دُرُوبُهُ إِعْصَارَا

رَبِّ لِي تَوْبَةً تَرِفُّ عَلى الأَحْـ
ـنَاءِ يَطْوِي نَدِيُّهَا الأَوْزَارَا

١٩٥٤

غيَاب

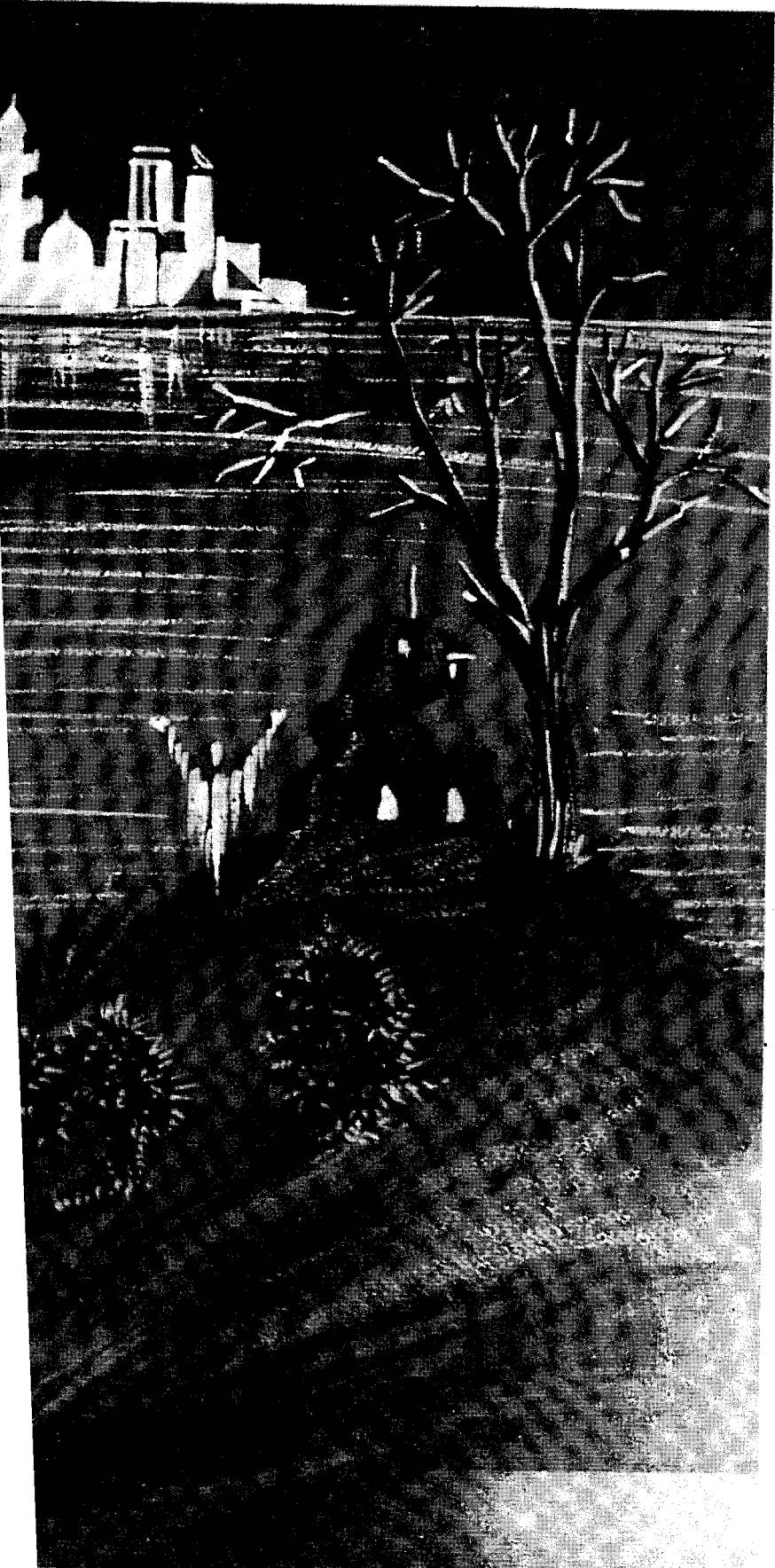

معان كثيرة من النبل والأخلاق غابت عن حياتنا الاجتماعية وتبدلت في زحمة الهوى والشهوات، فتبدل الأمن في النفوس إلى قلق، وتبدل الصفاء إلى اضطراب.

غيـاب

مَضَـيْتِ... ! وخَـلَّفْـتِ أَشْـوَاقَ نَفْسِي
تَمُوجُ وَتَهْـوَى نَدِيَّ الخِـلالْ

وَغِـبْـتِ... ! وكَـفَّـايَ تَنْـطَلِقَـانِ
تَشُـدَّانِ في عَالَمٍ مِنْ خَيَالْ

★ ★ ★

دَعَـوْتُـكِ... لَمْ تَسْـمَـعِـي أَضْـلُعِـي
تَرِفُّ وَقَـلْبًـا يُدَوِّي دَوِيًّا

وَرُحْـتِ... مَعَ الأُفْـقِ في وَمْـضَـةٍ
وَبِـتُّ أُطَـارِدُ شَوْقِـي مَلِيًّا

★ ★ ★

عَرَفْـتُـكِ مِنْ قَبْـلُ دُنْـيَا الـوَفَـاءِ
وَدُنْـيَا الـرِّضَـاءِ وَعَـهْـداً سَخِـيًّا

دَعَـوْتُـكِ مِنْ قَبْـلُ هَلْ تَذْكُـرِينَ
فَأَقْـبَـلْتِ بِشراً وَوَجْـهًـا رَضِـيًّا

★ ★ ★

عَرَفْـتُـكِ وَجْـهًـا تَفِـيضُ الحَـيَاةُ
عَلَى وَجْـنَـتَـيْهِ وَثَـغْـراً بَسَـمْ

وَعَـيْنَـاكِ تَسْـكُـبُ فِي نَاظِـرَيَّ
ضِيَاءً وَفِي الـرُّوحِ حُلْوَ الـنَّـغَـمْ

★ ★ ★

هُنَـاكَ عَرَفْـتُـكِ هَلْ تَذْكُـرِينَ
مَرَابِـعَـنَـا الخُضرَ والجَـدْوَلا

وَسَـاحًـا غَرَسْـنَـا عَلَيْهِ الأَمَـانِي
وَرَوْضـاً سَقَـيْنَـاهُ والَمـنْـزِلا

★ ★ ★

هُنَـاكَ ضَمَـمْـتُـكِ فِي أَضْـلُعِـي
وَأَغْـمَـضْـتُ جَفْـنِي وَلَمْ أَنْـدَمِ

كَتَـمْـتُـكِ فِي الـقَـلْبِ مَعْـنَـى الحَـيَاةِ
أُغَـذِّيهِ مِنْ كَبِـدِي أَوْ دَمِـي

★ ★ ★

هُنَـاكَ على الَمـرْجِ سَاحَـاتُـنَـا
طَرَحْـنَـا عَلَيْهَـا هُمُومَ الـكَـلَالْ

وَغِبْنَا عَلَى جَنَبَاتِ الرُّبَى
ظِلالاً تَرِفُّ وَدُنْيَا خَيَالْ

* * *

هُنَاكَ صَنَعْتُكِ مِنْ أَضْلُعِي
وَصُغْتُكِ مِنْ فِكْرَةٍ عَبْقَرِيَّهْ

أُذِيبُ عَلَيْكِ رَحِيقَ الْمُنَى
وَأُلْقِي عَلَيْكِ الرِّغَابَ السَّخِيَّهْ

* * *

أَتَمْضِينَ وَالنَّاسُ تَبْقَى هُنَا
تُطَالِعُ مِنْكِ سَرَابًا يَغِيبْ... !

وَكُنْتِ هُنَالِكَ آمَالَهُمْ
وَرُوحًا لَهَا خَفْقَةٌ أَوْ وَجِيبْ... !

* * *

أَتَمْضِينَ عَنَّا وَأَبْقَى هنا
أَشُقُّ الدُّرُوبَ وَأَطْوِي الزَّمَنْ... !

أُوَدِّعُ فِي الأُفْقِ آمَالَ قَوْمِي
وَأَدْفِنُ رُوحِي بِهَذِي الدِّمَنْ... !

* * *

تَئِـنُّ ضُلُوعِـي وَمَـا يَسْـتَـجِـيْبُ
لِهَذَا الأَنِـينِ سِوَى أَضْـلُعِـي
شَجِـيًّا أُحِـرِّقُ آلاَمَ نَفْسِي
وَأَطْـوِي لَظَاهَـا عَلَى أَدْمُـعِـي

★ ★ ★

إِذَا غِبْـتِ فالـنَّـاسُ دُنْـيَا وُحُـوشٍ
وَضِرْسٌ يَدُقُّ وَنَـابٌ قَطَعْ

تَسُـوقُـهُـمُ مُغْـرِيَاتُ الـدَّنَـايا
وَتُمْـعِـنُ فِيْهِـمْ شِفَـارُ الـطَّمَـعْ

★ ★ ★

تُمَزِّقُ أَرْحَـامَـهَـمْ والـصِّـلاَتِ
وَتَـغْـلِبُـهُـمْ شَـهْـوَةٌ مِنْ عُتَـاةِ

وَتُـطْوَى الْمُـرُوءَةُ فِي حَمْأَةٍ
تُبَـكِّـي عَلَى ثُلَّةٍ مِنْ أُبَـاةِ

★ ★ ★

أَدُنْيَـا الـوَفَـاءِ...! أَأَنْسَى هَـوَاكِ !
وَإِنْ غِبْـتِ...! ما زَالَ فَيضًـا جَنَـاكِ

فَكَـمْ قَدْ وَهَـبْـتِ جَدِيبَ الـنُّـفُـوسِ
نَدِيًّا وَأَغْـدَقْـتِ نُعْـمَـى نَدَاكِ

★ ★ ★

فَدُنْـيَاكِ عُلْوِيَّةُ الْمُجْتَنَى
تَفُضُّ مَغَانِيكِ عِطْراً شَهِيًّا

تَرِفُّ مِنَ الوَحِي أَنْدَاؤُهُ
فَتُزْهِرُ رَوْضًا وَتَزْكُو جَنِيًّا

★ ★ ★

١٩٥٤

آفاق

وقف هنـاك . . . في ساعـة من ساعات الغروب، ينظر إلى الأفق تتبدَّل فيه الألوان. حتى إذا حلَّ الظلام، وغابت الألوان والطيوف، وبرزت النجوم كأنها قناديل معلقة في السماء رأى في نفسه كذلك آفاقاً تمتد يتبدَّل فيها الضِياء والظلمة . . . وحوله أمّة تغيب بَيْنَ آمالٍ وضياع.

ورأى الفجـر في صفـوه وهدوئه ولألائه. فَبَيْنَ آفاق الكون الممتـدة الـواسعة، وبين آفاق نفسه كذلك، رأى آيات وآيات تتلاقى عندها كل الآفاق، في مواكب تسجد كلها لله خاشعة . . .

آفَـاق

أَلُمُّ عَلَى أَجْـفَـانيَ الأُفْـقَ والمَـدَى
فَأَجْمَـعُـهُ ظِلاًّ وَأَنْشُرُهُ نَدَى

تَحَيَّرتِ الأَلْـوَانُ فِيْهِ كَأَنَّـمَا
نَثَـرْتُ عَلَيْهِ الـشَّـوْقَ نَثْـراً مُجَدَّدا

يَمُـوجُ أُوَارُ الـنَّـفْس بَيْنَ احْمِـرَاره
عَلَى شَفَـقٍ غَافٍ وَذَيْلٍ تَبَـدَّدَا

بقـايـاهُ أَشْـتَـاتُ الـضَّـيَاعِ تَنَـاثَـرَتْ
عَلَى خَجَـلٍ هَاجَ الأَسـى فَتَـوَرَّدَا

فَتَـهْـوِي الـطُّيُوفُ الحُـمْـرُ خَلْفَ حُطَامِـهِ
عَلَى ظُلْمَـةٍ دَكْـنَـاءَ لَمْ تُبْـقِ مَنْـفَـدَا

كَأَنَّ الـدُّجَـى مَوْجٌ تَعَـلَّقْـنَ فَوْقَـهُ
قَنَـادِيْلَ كَمْ هَيَّجْـنَ نَجْـمًا وفَـرقَـدَا

غَفَـوْنَ. . . وَمَـرَّ الـفَـجْـرُ يَطْوِي شَتَـاتَهَـا
وَيَنْشُرُ من لألائـه مَا تَوقَـدّا

وَإِمَّـا صَفَـتْ نَفْسٌ وَطَـابَ بِهَا المُنـى
بَدَا الأُفْـقُ صَفْـواً طَابَ حُسْـنًـا وَمَـوْرِدَا

عَلَى زُرْقَـةٍ ذَابَ الحَـنَـانُ وخَـفْـقُـهُ
عَلَيْهَـا اصْـفِـرَاراً عَادَ دُرًّا وَعَـسْـجَـدَا

★ ★ ★

هُنَـالِـكَ مَا ضَيَّعْـتُ نَظْرَةَ خَاشِـعٍ
وَلاَ فَقَـدَتْ نَفْسِي مَعَ الأَمْـنِ مُنْـجِـداَ

أَطُـوف كَمَا طَافَ الجَـمَالُ وأجْـتَـلِي
رُؤَى عَبْـقَـرِيَّاتِ الجَـمالِ وَمَـشْـهَـداَ

أَزَحْتُ هُمُومَ الْعُمْرِ أَلْقَى مَوَاكِباً
مِنَ الخَيْرِ فَضَّتْ دُونَهَا آيَةَ الْهُدَى

تُرَجِّعُ آمَاداً مَضَيْنَ وَحِكْمَةً
يُجَدِّدْنَ آياتٍ وَيَعْرِضْنَ مَوْلِدَا

مَوَاكِبُ...! فاشْهَدْ عِنْدَهَا كلَّ آيةٍ
ورَتِّلْ عَلَى آيَاتِهَا الحَمْدَ والنَّدَى

مَوَاكِبُ...! ما في الكَوْنِ إلا خُشُوعُهَا
وكُلُّ الذي بَيْنَ الضُّلُوعِ لَه صَدَى

* * *

مَدَدْتُ بِآمَالِي إلى الأُفْقِ عَلَّنِي
أَرى قَبَساً أَهْدَى إليَّ وَأَرْشَدَا

رَجَعْتُ وَفي نَفْسِي دَوِيٌّ وَحَيْرَةٌ
وَعَادَتْ بِيَ الآمَالُ تَسْأَلُنِي يَدَا

تَقُولُ: حَنَانَيْكَ... الضِّيَاءُ جَمِيعُهُ
بِذَاتِكَ...! فَانْشُدْ إنْ رَغِبْتَ بِهَا الْهُدَى

بِذَاتِكَ... في عَيْنَيْكَ.. في القلب في يَدٍ
عَلَى خَفَقَاتِ الشَّوْقِ هَيْجَنَ أَكْبُدَا

بِرَجْعَةِ أَنْفَاسٍ . . . بِلَهْفَةِ أَضْلُعِ
بِإِشراقَةٍ . . . بالعَيْشِ . . . بالسَّعْي . . . بالرَّدَى

هُنَا . . . ! في بَنَانٍ دَقَّ صُنْعاً وآيَةٍ
وَجَارِحَةٍ تَجْلُو لِعَيْنَيْكَ مَوْرِدَا

وَفِي فِطْرَةٍ أُوْتِيْتَهَا لو سَأَلْتَهَا
عَنِ الحَقِّ قامَتْ كَيْ تُبِينَ وَتَشْهَدَا

بِذَاتِكَ . . . ! في جَنْبَيْكَ . . . آفَاقُ عَالَمٍ
فَسِيحٍ . . . وَأَنْوَارٌ وَمَوْجٌ مِنَ الصَّدَى

تَأَلَّقُ أَوْ تَحْنُو بضَوْءٍ شُمُوسِهَا
أَماناً وَتَبْتَلُّ الجَوَارِحُ بالنَّدَى

كَأَنَّ الأَمَانِيْ بَيْنَ جَنْبَيْكَ رَوْضَةٌ
تَفَتَّحُ عَنْ زَهْرٍ وَتَهْتَزُّ بالجَدَا

تُبَلِّلُهَا نُعْمَى اليَقِينِ . . . بِرَيِّهَا
وُرُوداً وَتَسْقِيْهَا البَشَائِرُ سُؤْددا

صَفَا حُسْنُهَا . . . حَتَّى إِذَا اضْطَرَبَ الهَوَى
بِنَفْسٍ طَوَى آفَاقَهَا اللَّيْلُ أَسْوَدَا

يَمُورُ مِنَ الأَهْوَاءِ مَوْجُ ظَلاَمِهَا
وَيَهْدُرُ شَوْقٌ ضَجَّ فِيهَا وَأَرْعَدَا

إِذَا أَوْمَضَتْ بَيْنَ الدَّيَاجِيرِ شَهْوَةٌ
رَجَعْنَ دُخَانًا خانِقًا فِيهِ أَرْبَدَا

★ ★ ★

رَجَعْتُ وَأَضْحَى الأُفْقُ، مَهْمَا نَأَى بِهِ
مَدَى، عَادَ يَدْنُو مِنْ فُؤَادِيَ مُرْشِدَا

هُنَالِكَ آفَاقٌ تَمُرُّ وَهَا هُنَا
كذلك آفَاقٌ تُوَاكِبُ مَوْعِدَا

تَلاقَتْ عَلَى آيَاتِهَا...! فَكَأَنَّمَا
رَأَيْتَ بِهَا الدُّنْيَا خُشُوعًا وَمَعْبَدَا

هُوَ الله...! فانْظُرْ حيثما شئتَ آيَةً
بِهَا سُجَّداً للهِ يَتْبَعْنَ سُجَّدَا

★ ★ ★

١٣٩٨هـ
١٩٧٨م

توفي والدي علي رضا النحوي بدمشق عام ١٩٥٦ كنت بعيداً عنه... في الكويت...! لم أقل فيه رثاء آنذاك، ومضت السنون، وبعد ما يقرب من اثنين وعشرين عاماً كنت أذكر خلالها دروسه، وَصَبْرَه، وجهادَه الصامِت وفي لحظة على غير موعد، نظمت هذه الأبيات اذكره وأذكر معه مرحلة من التاريخ.

أبتاه ... أين الفجر ...! كم رَاقَبْتُهُ ... !

أَلْقَيْتُ مِنْ ذِكْرَى الحَنَانِ ظِلَالاَ
وَرَأَيْتُ مِنْ بَيْنَ الطُّيُوفِ خَيَالاَ

أَغْمَضْتُ أَجْفَانِي لأَطْوِيَ بَيْنَهَا
طُوْلَ المَدَى وَأُقَرِّبَ الأَجْيَالاَ

وَمَدَدْتُ مِنْ كَفِّيَّ رَعْشَةَ وَامِقٍ
بَيْنَ الرُّؤى تَتَلَمَّسَانِ مِثَالاَ

وَمَدَدْتُ مِنْ نَظَرِيْ إِلَيْهِ صَبَابَةً
وَمَدَدْتُ مِنْ شَوْقِي إِلَيْهِ وِصَالاَ

يَا طِيْبَ طَلْعَتِهِ وَطِيبَ وَقَارِهِ
جُمِعَا فَكَانَا زِيْنَةً وَخِلاَلاَ

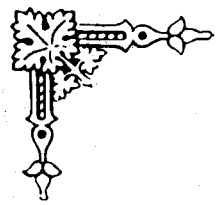
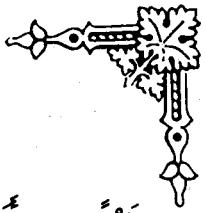

طَيْفًا أَلَمَّ عَلَى الدُّجَى فَعَرفْتُهُ
إِشْرَاقَةَ القَسَمَاتِ والإِقْبَالاَ

أَبَتَاهُ...! يا طُولَ السُّرى دَفَعَ الخُطَى
يَتَقَحَّمُ السَّاحَاتِ والأَدْغَالا

تَتَنَاثَرُ الأَشْوَاكُ تَدْمَى دُوْنَهُ
لِيَشُقَّ بَيْنَ دُرُوبِهِ الآمَالاَ

أَبَتَاهُ...! يَا طُوْلَ السِّنِينَ حَمَلْنَني
وَرَجَعْنَ بِي الأَزْمَانَ والتَّرْحَالاَ

★ ★ ★

أَعَلَى رُبَى «آسْتَانْبُولَ» أَمْ بِضِفَافِهَا
لَوَّحْتَ «قَاصِمَةً»[1] وَخُضْتَ نِضَالاَ

وَمَعَ «الشَّبَابِ المُؤْمِنِينَ»[2] دَفَعْتُمُ
دُونَ الحِمَى الآسَادَ والأَشْبَالاَ

دَارُ الخِلاَفَةِ وَالمَكَائِدُ حَوْلَهَا
قِطَعٌ تَحُوْكُ مِنَ الظَّلاَمِ حِبَالاَ

---

(١) حين وثب بعصاه يضرب أحد دعاه القومية التركية.
(٢) الذين يدعون إلى الخلافة.

تَلْتَفُّ حَوْلَ ضُلُوعِهَا فَتَشُدُّهَا
وَتُمَزِّقُ الأَعْضَاءَ والأَوْصَالاَ

وَإِذَا «شِعَارُ الجَاهِلِيَّة»[1] رَايَةٌ
خَفَقَتْ لَتَحْشُدَ فِتْنَةً وَضَلاَلاَ

وَإِذَا «بِطَائِفَةٍ»[2] تَشُدُّ على المُدَى
طَعْنًا يُدَمِّي الكَفَّ والأَنْصَالاَ

نَظَرَتْ عَلَى الظَّلْمَاءِ تَحْسَبُ أَنَّهَا
هَاجَتْ عَلَى نَحْرِ العُدَاةِ قِتَالاَ

فَإِذَا النِّصَالُ جَمِيْعُهَا بِنُحُورِهَا،
بِقُلُوْبِهَا...! وَدَمٌ هُنَالِكَ سَالاَ

مَاتَتْ مُرُوءَاتُ الرِّجَال فَلَمْ تَعُدْ
تَلْقَى عَلَى أَلَمِ الشِّفَارِ رِجَالاَ

أَبَتَاهُ...! ما زِلْنَا عَلَى طَعَنَاتِهِمْ
نَدْمَى...! وَيَنْزِفُ جُرْحُنَا الأَهْوَالاَ

* * *

(١) القومية.

(٢) الفئة التي كانت تدعُو إلى الإقليمية والقومية لتمزيق ديار المسلمين.

أَبَتَــاه...! يَاطُــوْلَ السُّرَى، لَمْ الــدُّجَى النْـ
ـنَظَرَاتِ والخُــطُوَاتِ والأَثْــقَــالاَ

أَبَتَــاهُ...! أَيْنَ الــفَــجْــرُ...! كَمْ رَاقَبْتَــهُ
فِي الأُفْــقِ...! لَمْ نَلْمَــحْ لَهُ إِطْــلاَلاَ

مَاتَــتْ عَلَيْهِ جُفُــونُــنَــا تَطْوِي المُــنَــى
تَهْوِيْ عَلَى خَدَرِ الــزَّمَــانِ كَلاَلاَ

سَنَــظَلُّ، مَهْــمَا طَالَ هَذَا الــلَّيْلُ، نُشْـ
ـعِلُهُ بِوَمْضِ قَنَــاتِــنَــا إِشْــعَــالاَ

* * *

أَبَــتَــاهُ...! كَمْ طَوَّفْــتَ بَيْنَ دِيَارِهَــا
أَنَّــى اتَّجَــهْــتَ رَأَيْتَ فِيْهَــا الآلاَ

وَصَــلَتْ مَغَــارِبُهَــا بِطِيب وُرُودِهَــا
شَرْقًــا وَوَثَّــقَــتِ الــعُــرَى وَحِــبَــالاَ

وَكَــأَنَّــمَا الــبَــيْتُ الحَــرَامُ وَطِــيْبَــةٌ
وَالمَــسْــجِــدُ الأَقْــصَــى يَفِــضْــنَ نَوَالاَ

قَلْبًــا يَمُــدُّ هُدًى عَلَى خَفَــقَــانِــهِ
يَرْوِيْ الــعُــرُوقَ وَيَدْفَــعُ الأَوْصَــالاَ

نُوْراً يَمُـوجُ مِنَ الـنُّـبُـوَّةِ عِنْـدَهَـا
يَسْـكُـبْـنَـهُ مِلءَ الـرُّبَـى شَلَّالاَ

* * *

حَالَـتْ مَنـازِلُهَـا وَجَـفَّ بِهَا الـنَّـدَى
عَصْـفَ الـرِّيَاحِ وَأَعْـوَلَـتْ إِعْـوَالاَ

الحَـادِثَـاتُ تَمُورُ فِي أَحْـشَـائِـهَـا
وَتَـثُـورُ بَيْنَ رُبُـوعِـهَـا زِلْـزَالاَ

فَتَـمَـزَّقَـتْ مِنْهَـا الـقُـلُوبُ وَقُـطِّعَـتْ
مِنْهَـا الـكُـبُـودُ وَبَدَّلَـتْ أَحْـوَالاَ

* * *

عَاصَرْتَهَـا...! والـلَّيْلُ يَدْفَـعُ مَوْجَـهُ
وَيَمُـدُّ خَلْفَ حُدُودِهَـا الأَذْيَالاَ

أَدِمَـشْـقُ أَمْ عَمَّانُ كَانَـتْ مَوْئِـلاً
أَرْعَـدْتَ فِي سَاحَـاتِهَـا رِئْـبَـالاَ

لَمْ تَرْضَ يَا أَبَـتَـاهُ أَنْ تَبْـقَـى كَمَا
بَقِـيَ الـعَـبِـيْدُ تُعَـانِـقُ الأَغْـلاَلاَ

حَطَّمْـتَـهَـا...! وَمَـضَـيْتَ لاَ تَلْوِي عَلَى
كِبْرٍ يُذِلُّ وَزُخْـرفٍ قَدْ زَالاَ

وَطَـرَحْـتَ أَلْـقَـابًـا وَقُـمْـتَ لِهِمَّـةٍ
جَعَـلَتْ مَرَامِـيَهَـا أَعَـزَّ مَنَـالاَ

الـشَـامِخَـاتُ مِنَ الـعُـلاَ أَدْنَـيْتَـهَـا
بِيَدٍ فَكَـانَ لَهَا نَدَاكَ مَآلاَ

وَنَـزَلْـتَ «كَـنْـعَـانَ»[1] النَّـدِيَّ وَسَـاحَـةً[2]
نَفَـحَـتْ مِنَ الـدَّمِ طِيبَـهَـا إِرْسَـالاَ

دَفَـعَـتْ عَلَى مَوْجَ الـرَّدَى أَكْـبَـادَهَـا
تَصِـلُ الـزَّمَـانَ وَتُـنْـبِـتُ الأَبْـطَالاَ

بَيْنَ انْـتِـدَابٍ[3] مَـدَّ سُمَّ نُيُوبِـهِ
شَرَكًـا وَأَلْقَـى بَيْنَـنَـا الأَحْـبَـالاَ

يَبْـنِي «لِـصِـهْـيَوْنَ» الخَـيَالَ حَقِـيْقَـةٍ
قَهْـراً، يُحِلُّ ضَلاَلَهُـمْ إِحْـلاَلاَ

عَجَبـاً لَهُمْ...! بِاسْمِ «الحَضَـارَةِ» قَطَّعُـوا
دَاراً وَخَـطُّوا لِلحُـدُودِ مَجَالاَ

---

(١) كنعان جبل في مدينة صفد.
(٢) ساحة: أي فلسطين وبلاد الشام.
(٣) الانتداب الانكليزي على فلسطين.

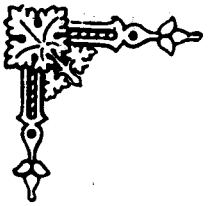
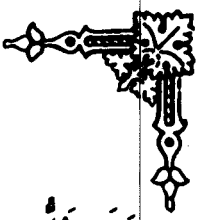

سَتَظَلُّ هَاتِيكَ الحُدُودُ عَلَى المَدَى
جَرْحًا يَئِنُّ وَصَيْحَةً تَتَعَالَى

سَتَظَلُّ تُطْلِقُ مِنْ نَزِيفِ دِمَائِهَا
شِيبًا تَقُودُ إلى الفِدَا أَنْجَالَا

* * *

يَالَلْجَرِيمَةِ...! لَمْ تَرَ الدُّنْيَا لَهَا
سَبْقًا وَلَمْ تَشْهَدْ لَهَا أَمْثَالَا

هِيَ مَعْرَكُ الإِسْلَامِ مَدَّتْ سَاحَهَا
لِتَخُوضَ فَوْقَ مَدَى الظُّنُونُ مَجَالَا

كَمْ سَاوَمُوكَ لِكَيْ تَبِيعَ تُرَابَهَا
بِالتِّبْرِ، كَمْ نَثَرُوا لَهَا الأَمْوَالَا

عَظُمَتْ نُفُوسُ المُؤْمِنِينَ فَأَرْخَصَتْ
مَا فَتَّحُوا بِبَرِيقِهِ الأَقْفَالَا

وَسَمَا بِكَ الإِيمَانُ حَتَّى أَبْصَرَتْ
عَيْنَاكَ بَيْنَ تُرَابِهَا الأَجْيَالَا

جَبَلَتْ عَلَى طِيبِ الدِّمَاءِ جِهَادَهَا
مَجْدًا تَأَلَّقَ بَيْنَهُ وَجَلَالَا

وَرَأَتْ بِهِ التَّارِيْخَ يَصْنَعُ أُمَّةً
وَعَقِيدَةً تَبْنِي بِهِ الآمَالاَ

فَإِذَا بِأَصْغَرِ حَبَّةٍ فِي أَرْضِهَا
دُرٌّ يَشِعُّ وَجَوْهَرٌ يَتَلاَلاَ

وَصَلَتْ عَلَى نَفْحِ السَّمَاءِ مَرَابِعاً
خَشَعَ الزَّمَانُ أَمَامَهَا إِجْلاَلاَ

وَسَمَوْتَ بالشَّمَمِ الأَبِيِّ: رُوَيْدَكُمْ
تَلْقَوْا عَلَى هذا التُّرَابِ مَقَالاَ

إِنَّا لَنَغْرِسُهُ وَنَرْوِيْهِ الدِّمَا
كَيْ نُنْبِتَ الأَقْوَالَ وَالأَفْعَالاَ

★ ★ ★

«الثَّوْرَةُ الكُبْرَى»[1] نَزَلْتَ غِمَارَهَا
حِمَمًا تَصُبُّ عَلَيْهِمُ وَنَكَالاَ

مَعْ عُصْبَةٍ تُوْرُوْنَ وَقْدَ عَزِيْمَةٍ
صَنَعَتْ لِمَلْحَمَةِ الحَيَاةِ رِجَالاَ

---

(١) ثورة ١٩٣٦.

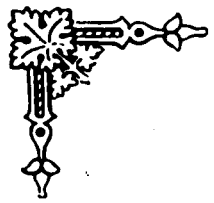
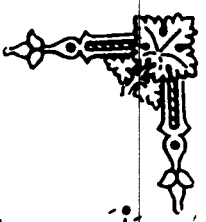

يَلْقَـى الـبَـيَانَ عَلَى ذُرَى رَبَـوَاتِهـا
مَنْ كَانَ يَطْمَـعُ أَنْ يُعِـيْدَ سؤالاَ

شُعَـلاً تُضِيءُ لَهَا لَـيَالِيَ عُرْسِـهَـا
وُدْيَانَها وَسُـهُـولَهَـا وَجِـبَـالاَ

مَهْـمَا أَصَـابَ «الإنْـجـلِيزُ» بَيْطْشِهِمْ
أَوْ جَـاوَزُوا الـتُّشْرِيدَ و الإقْـلاَلاَ

أَوْ هَدَّمُـوا دَاراً وَسَـامُـوْا عُجَّـزاً
أَوْ رَوَّعُـوا بَيْنَ الحِـمَـى الأَطْـفَـالاَ

عَزَّتْ نُفُـوسُ الْمُـؤْمِـنِـيْنَ فَلَمْ يكُـنْ
يَقْـوَى لِيَبْـلُغَ مِنْهُـمُ الإذْلاَلاَ

* * *

خَفَّـتْ رُبَـى «بَـيْرُوت» تَلْقَـى فِيْكُـمُ
زَهْـوَ الْمُـنَـى والـبِشْرَ والإقْـبَـالاَ

وَدِمَـشْـقُ...! يَا طِيْبَ الـلُّقَـاءِ وَقَـدْ جَرَى
بَرَدَى يُعِـيْدُ صَدَى وَيَشْـكُـو حَالاَ

«الإنْـتِـدَابُ» جَثَـا هُنَـالِـكَ فَالْـتَـقَـتْ
أَحْـقَـادُهُ الـسَّـوْدَاءُ حَيْثُ أَجَـالاَ

ذُبِـلَتْ عَلَى زُهْـرِ الـرِّيَاضِ وُرُودُهَـا
وَشَـكَـتْ لِتَـلْقَـى قَطْرَةً وَبَلَالَا

مَا نَامَ أَبْـطَالُ الـشَّـآمِ عَنِ الـفِـدَا
فالـنَّـصْـلُ يُحْجَـزُ إِنْ أَرَدْتَ صِقَـالَا

نَهَضُـوا...! جُفُـونُهُمُ تُطِلُّ عَلَى الـرَّدَى
شَوْقًـا لِيَلْقَـوْا جَنَّـةً وَظِـلَالَا

★ ★ ★

أَبَـتَـاهُ...! أَيْنَ الْمُشْرَعَـاتُ عَلَى الـرُّبَـى
طُـوِيَتْ...! وَأَيْنَ الْمُـرْعِـدَاتُ ثِقَـالَا...!

الْمُـعْـطِيَاتُ إِلَى الـسَّـحَـابِ بَوَارِقًـا
الآخِـذَاتُ مِنَ الـيَقِـينِ نِصَـالَا...!

سكَنَتْ...! فَمَنْ رَدَّ السُّيُوفَ لِغِمْدِهَا !
طُـوِيَتْ...! فَمَنْ خَنَـقَ الـنِّـدَاءَ فَزَالَا

الأَهْـلُ...! وَالجِيرَانُ...! والـرَّحِمُ الَّـذِي
نَاشَـدْتُمُـوهُ مَوَدَّةً وَوِصَـالَا...!

وَرُؤًى مِنَ الأَشْـبَـاحِ فَوْقَ مَسَـارِحٍ
هَتَـفَ الـقَـطِيعُ لَهَا وَشَـدَّ عِقَـالَا...!

★ ★ ★

وَمَـضَـيْتَ لَمْ تُسْـلِمْ زِمَـامَـكَ لِلْعِـدَى
صَبْراً عَلَى مُرِّ الـطِّرَادِ تَوَالى

وَمَـضَـيْتَ فِي دَرْبٍ تَشُـقُّ صُخُـورَهُ
شَقّـاً وتَخْـضُـدُ شَوْكَـهُ الـقَـتَّـالاَ

لَمْ يُحْنِ «إقـلالٌ» جَبِـيْنَـكَ مَرَّةً
وَنَـثَـرْتَ مِنْ عِظَمِ الـنُّـفُـوسِ الـنَّـالاَ[1]

لَمْ تَرْضَ مِنْ دُنْـيَاكَ شَهْـوَةَ طَامِـعٍ
تُرْدِي الـبِـلاَدَ وَتُـسْـلِمُ الأَطْـفَـالاَ

لَمْ تَرْضَ زَخْـرُفَـهَـا يُرَاقُ أَمَـامَـهُ
عِرْضٌ وَيَطْوِي الـقَـهْـرَ والأَغْـلاَلاَ

فَحَـنَـا لَكَ الأَعْـدَاءُ هَامَـةَ صَاغِـرٍ
وَعَـلَوْتَ تَنْـفَـحُ لِلْحَـيَاةِ جَمَالاَ

★ ★ ★

وَرَجَـعْـتَ . . . ! أَنَّى طُفْـتَ فِي سَاحَـاتِهَـا
عَانَـقْـتَ أَعْـمَامَـاً بِهَا أَوْ خَالاَ

---

(١) العطاء.

هِيَ أُمَّـةٌ جَمَعَـتْ عَلَى أَرْحَـامِـهَـا
نَسَـبًـا مِنَ الإِسْـلَام طَابَ فِعَـالَا

وَحَمَـلْتَ مِنْ نَفْـحِ الجُـدُودِ، مِنَ الـتُّـقَـى
عَزْمًـا يَزُفُّ مِنَ الـبـشَـائِـرِ فَالَا

مَهْـمَا يَطُل لَيْلٌ فإِنَّ صَبَـاحَـهُ
سَيُطِلُّ يُوْقِظُ نُوَّمًـا وَكُـسَـالَى

وَغَـدًا مِنَ الـرَّحْـمَـنِ تَلْقَـى عِنْـدَهُ
أَمْـنًـا لِتُشْرِقَ بالـسَّـعَـادَةِ بَالَا

★ ★ ★

أَبَـتَـاهُ...! يَا يَوْمَ الـنُّـزُوحِ كَأَنَّـهُ
يَوْمٌ تُرِيْدُ بِهِ الجِـبَـالُ زَوَالَا

كَمْ مَرَّةٍ جُزْتَ الحُـدُودَ وَكَـمْ مَضَـتْ
عَبْرَ الحُـدُودِ خُطًى تَخُوْضُ نِزَالَا

والـيَوْمَ أَمْـوَاجٌ تُسَـاقُ لِمِهْـمَـهٍ
يَطْوِي عَلَى زُهْـرِ الـرَّغَـابِ رِمَـالَا

★ ★ ★

أَبَـتَـاهُ...! هَذِي الـشَّـامُ فانْـزِلْ رَوْضَـهَـا
حُرًّا لِتَـلْقَـى شِيْمَـةً وَخِـلَالَا

المؤمنون مِنَ المَنابرِ أَطْلَقُوا
مَدَدَ الجِهَادِ وأَقْبَلُوا أَرْتَالاَ

زَحَفَتْ ضِفَافُ النِّيلِ يَدْفُقُ مَوْجُهَا
وَضِفَافُ دِجْلَةَ والفُرَاتِ قِتَالاَ

وَتَلَفَّتَتْ مِنْكَ الضُّلُوعُ لِكَيْ تَرَى
مَكْراً يُحَاكُ وَخِدْعَةً وَخِتَالاَ

سَكَتَتْ بَنَادِقُنَا وَغَابَ دَوِيُّهَا
وَمَضَوْا عَلَى سَاحَاتِهَا قُفَّالاَ

ضاعَتْ فِلَسْطِينُ النَّدِيَّةُ فَانْدُبِي
يا نَفْسُ مِنْ حُلُمِ الجُفُونِ خَيَالاَ

وَنَهَضْتَ والصَّحْبُ الأَبِيُّ لِتَعْتَلُوا
هُوْجَ الصِّعَابِ وَتَرْكَبُوا الأَهْوَالاَ

وَنَهَضْتَ...! لَكِنَّ القَضَاءَ إِذَا أَتَى
أَخَذَ النُّفُوسَ وَحَدَّدَ الآجَالاَ

وَنَزَلْتَ...! والقَبْرُ النَّدِيُّ كَأَنَّهُ
يَرْوِي عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ فِعَالاَ

* * *

يَاقَبْرُ أَوْدِعُكَ الأُبُوَّةَ، وَالحَنَا
نَ وَدَمْعَةً، ورُؤَى مَضَيْنَ عِجَالاَ

يَا رَوْضَةً...! وَكَأَنَّني أَبْكِي بِهَا
صَفْوَ الحَنَانِ وَأَنْدُبُ الأَطْلاَلاَ

وَكَأَنَّني أَلْقَى عَلَى زَهَرَاتِهَا
حُلْوَ النَّدَى وَالبِشْرَ والآمَالاَ

بِالأَمْسِ أَوْدَعْتُ الأُمُومَةَ رَوْضَةً
وَسَقَيْتُهَا دَمْعاً هُنَالِكَ سَالاَ

يَارَوْضَتَيْنِ...! وَتِلْكَ دَعْوَةُ مُهْجَتِي
للهِ...! أُلْقِي ذِلَّتِي وسُؤَالاَ

أَنْ يَسْتَجِيْبَ وَأَنْ يُفِيْضَ بِرَحْمَةٍ
وَسِعَتْ تُنَدِّي العُمْرَ وَالآجَالاَ

يا «غُوْطَةَ الشَّامِ» النَّدِيَّةِ رَفْرِفِي
بِالطِّيْبِ مِنْ عُوْدَيْنِ عِنْدَكِ مَالاَ

مُدِّي غُصُونَكِ، أَوْ أَطِلِّي بالنَّدَى
بَيْنَ النَّسِيمَ سَرَى هُنَاكَ وَجَالاَ

١٣٩٨/٥/٤
١٩٧٨/٤/١١

الشيخ أحمد النحوي، كان قاضياً في عدة مدن في فلسطين، توفي في دمشق بعد النزوح...!

وبعد هذه الأعوام الطويلة التي حملت ذكريات كبيرة، التقيت مع طيفه.

عَـمّاه أحـمَد

أَلْـقَـيْتُ عَنْ نَفْسِي دَوِيَّ جِرَاحِـي
وَحَمَـلْتُ مِنْ أَمْسِي رَبِـيعَ صَبَـاحِـي

وَسَرَحْـتُ فِي الـذِّكْـرَى أَلَمَّ شَتَـاتَهَـا
بَيْنَ الـطُّلُولِ وَمَـلْعَـبٍ أَوْ سَاحِ

وَمَـنَـازِلٍ مَا زَالَ بَيْنَ ظِلَالِهَـا
طَلٌّ وَأَصْـدَاءٌ وَطَـيْفُ مِلَاحِ

الحَـانِـيَاتُ عَلَى مَرَابِـعِـهَـا هَوًى
هَمْسَ الحَـنَـانِ وَلَـفْـتَـةَ الأَفْـرَاحِ

نَدَّى مَطَالِـعَـهَـا «رُؤَاهُ» وَرَفْـرَفَـتْ
مِنْـهُ ظِلَالُ بَشَـاشَـةٍ وَسَـمَاحِ

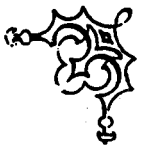

عَمَّاهُ أَحْمَـدُ...! أَيْنَ طَيْفُـكَ أَجْتَـلِي
مِنْـهُ نَدَاوَةَ وَجْـهِـكَ الـوَضَّـاحِ

أَسْـقِـي مِنَ الـذِّكْـرَى الحَـنَـانَ لِيَرْتَـوِي
وَأُعِـيْدُهُ زَهَـرًا وَطِـيْبَ أَقَـاحِـي

فَأَرَاكَ يا عَمَّاهُ، نَفْـحَـةَ وَرْدَةٍ
عَبَـقَـتْ تَلُمُّ مَجَامِـعَ الأَدْواحِ

★ ★ ★

يَا طِيْبَ بَسْـمَـتِـهِ...! أَرَقُّ مِنَ الـنَّـدَى
يَا طِيْبَ طَلْعَـتِـهِ وَفَـأْلَ فَلَاحِ

كَمْ نَدْوَةٍ أَرْخَـيْتَ بَيْنَ ظِلَالِهَـا
عِلْمًا يَفِـيضُ نَبَـاهَـةَ الـنَّـضَّـاحِ

يَا عَالِمَ الشَّرْعِ الحَـنِـيفِ وَحَـامِـلَ الـ
ـفِقْـهِ الـنَّـقِـيِّ عَلَى تُقًى وَصَـلَاحَ

أَلْـقَـى مُحَيَّاكَ الـنَّـدِيَّ كَأَنَّـهُ
نُوْرٌ يُطِلُّ مِنَ الـدُّجَـى بِصَـبَـاحِ

تَهَبُ الـتَّـوَاضُـعَ وَالإِبَـاءَ كَأَنَّـمَا
تَهَبُ الشَّـذَا لِمَصَـاحِـبٍ وَمُـلَاحِـي

يَلْقَى عَلَى أَيِّ الشَّمَائِلِ رامَها
أَرَجًا وَرِقَّةَ نَسْمَةِ الإِصْبَاحِ

* * *

رَجُلَ القَضَاءِ...! وَكَمْ حكَمْتَ بِفَيْصَلٍ
مَا كَانَ فِي كَفَّيْكَ أَيُّ سِلاَحِ

صُغْتَ النَّزَاهَةَ والحِجَى والعِلْمَ أَنْـ
ـصالَ البَيَانِ وحُجَّةَ الإِفْصَاحِ

وَقَطَعْتَ لا حَزًّا يَجُورُ وَلاَ هَوًى
يَطغَى ولكِنْ وَمْضَةَ اللَّمَّاحِ

صُنْتَ العَدَالَةَ أَنْ تُمَسَّ حُدُودُها
وَدَفَعْتَ عَنْهَا نَزْوَةَ المُجْتَاحِ

«الانْتِدَابُ» وَكَمْ عَدَا بِشُرُورِهِ
يَفْرِي وَيَقْطَعُ فِي رُبَى وَبِطَاحِ

سَرَقُوا البِلاَدَ وَقَطَّعُوا أَوْصَالَهَا
ظُلْمًا بِغَيْرِ جَرِيرَةٍ وَجُنَاحِ

كَفَّاهُ تَقْطُرُ مِنْ دِمَاءِ جَرَائِمٍ
وَيَدَاهُ تَنْفُضُ رَعْشَةً السَّفَّاحِ

لَمْ يَقْوَ أَنْ يُمْلَى عَلَيْكَ بِبَطْشِهِ
زَيْغُ الْقَضَاءِ عَلَى نَهَارٍ ضَاحِي

وَأَبَيْتَ أَغْلاَلَ الْعَبِيْدِ وَقُلْتَ :لا
يُرْجَى الصَّلاَحُ عَلَى هَوَانِ صَلاَحِ

لاَ تَسْتَقِيمُ عَلَى الْمَذَلَّةِ عِزَّةٌ
أَوْ يُرْتَجَى نَصْرٌ بِمَكْرِ إِبَاحِي

مَنْ لِلْقَضَاءِ وَقَدْ تَرَكْتَ بِسَاحِهِ
شَاةً تُنَاشُ على مُدًى وَرِمَاحِ

★ ★ ★

عَمَّاهُ...! مَا يَوْمُ النُّزُوحِ، وَإِنْ نَأَى
يُطْوَى وَلاَ مَرُّ الزَّمَانَ بِمَاحِي

تَمْضِي السِّنُونَ وفي الْقُلُوبِ تَفَجُّعٌ
مِنْهُ وَفِي الأَضْلاَعِ غُصَّةُ لاَحِي

مَهْمَا حَلاَ «بَرَدَى» وَطَابَ نَسِيمُهُ
مَا كَانَ يُطْفِىءُ حُرْقَةَ النُّزَّاحِ

لاَ يَرْتَوِي الظَّمَأُ الْمُدَمَّى والأَسَى
لَفْحُ الْهَجِيرِ وَجَمْرَةُ الأَتْرَاحِ

وَنَـزَلْـتَ مَا بَيْنَ الـظِّلَالِ نَدِيَّةً
جَدَثًـا طَوَيْتَ بِهِ عَنَـاءَ كِفَـاحِ

نَطْوِيكَ فِي كَفَـنِ الحَـنَـانِ وَدَعْـوَةٍ
لله...! تُنْـدِي سَاحَـةَ «الـدَّحْـدَاحِ»(١)

يَا ربِّ فاجْـعَـلْهُ عَلَى أَنْـدَائِـهِ
زَهَـراً يَرِفُّ بِرَوْضِـهِ الـفَـيَّاحِ

١٣٩٨/٥/١٢

* * *

(١) الدحداح : اسم مقبرة مشهورة في دمشق .

أيُّهَا القلبُ ...!

أَهُجُودٌ.... وَتَوَانِيْ.... !
أَمْ صِرَاعُ الحَدَثَانِ

أَشْغَلَتْ عَزْمَكَ عَنْ نَيْـ
ـلِ العُلَا بِنْتُ الزَّمَانِ

أَيْنَ مَا أَمَّلْتَ مِنْ حُلْـ
ـمٍ وَمَعْسُولِ الأَمَانِي

أَيْنَ صَرْحٌ شِدْتَهُ فِي الـ
ـوَهْمِ خَفَّاقَ الجَنَانِ

★ ★ ★

أَيْنَ دُنْيَا صُغْتَهَا مِنْ
دَمِكَ الثَّائِرِ أَيْنَا... !

وَشَبَابٌ هَيَّجَتْهُ
صَرْخَةٌ فِي أُذُنَيْنَا

هَدَأَتْ ثَوْرَتُكَ الْيَوْ
مَ وَمَا أَوْفَيْتَ دَيْنَا

وَدَوِيُّ الأَمْسِ أَضْحَى
هَمْسَةً فِي شَفَتَيْنَا

* * *

أَنَا لَمْ أَهْدَأْ وَهَلْ يَهْـ
ـدأُ فِي الأَحْدَاثِ قَلْبُ

غَضْبَةٌ لله تُذْكِيـ
ـهَا مِنَ الآلَامِ حَرْبُ

قَلْبِيَ الوَثَّابُ قَحَّا
مٌ عَلَى الأَهْوَالِ صَعْبُ

زَهْوَةُ الإِيمان تَحْدُ
وني وأَنْسَامٌ تَهُبُّ

* * *

ذِكْرَيَاتٌ تَبْعَثُ المَا
ضِيَ فِي الخَاطِرِ هَمْسَا

وَحَـنِـيْنٌ مَلأَ الـنَّـفْـ
ـسَ وَرَدَّ الـغَـدَ أَمْـسَـا

وَجَـنَـاحٌ قَصَّـهُ الـدَّهْـ
ـرُ فَأَزرى بِكَ حَبْـسَـا

وَرُبُـوعٌ ذَهَـبَ الـدَّهْـ
ـرُ بِهَا هَماً وَدَرْسـا

★ ★ ★

أَيُّهَـا الـقَـلْبُ...! هي الجَـوْ
لَةُ أَفْـرَاحٌ وَعِـيْدُ

كُلَّمَا سَارَ على الـدَّرْ
بِ وَأَدْمَـاهُ شَهِـيْدُ

والـتَـقَـى الْمُـؤْمِـنُ بِالْمُـؤْ
مِنِ : رُوَّادٌ وَصِـيدُ

مَوْكِـبٌ تَخْفُـقُ مِن ذِكْـ
ـراهُ آفَـاقٌ وَبِـيدُ

★ ★ ★

مَوْكِـبٌ تَجْثُـو على أَقْـ
ـدَامِـهِ الـدُّنْـيَا جِثِيًّا

وَيَضُمُّ البِكْرَ مِنْ أَمْـ
ـجَادِهَا خَضْلاً نَدِيًّا

يَصِلُ الأَجْيَالَ وَالأَزْ
مَانَ والسَّاحَاتِ ريًّا

يُوْمِضُ العَزْمَ على الأَنْـ
ـصَالِ يُمْضِيهَا مُضِيًّا

* * *

أَلْقِ بِالْقَيْدِ فَقَدْ لاَ
نَ عَلَى الزَّنْدِ وَهَانَا

وَامْضِ فِي دَرْبِكَ هَذَا الدْ
دَرْبُ مَدَّتْهُ يَدَانَا

هُوَ دَرْبُ الحَقِّ...! لاَ تَخْـ
ـشَ غَبِيًّا وَجَبَانَا

وعُتَاةً مَلأُوا أَمْـ
ـسَكَ خَسْفًا وَهَوَانَا

* * *

١٩٥٤

قصور وأكواخ

قصور وأكواخ

رَبِّ..! في مَوْكِبِ الحَيَاةِ البَدِيْعِ
بَيْنَ آيَاتِهِ وَبَيْنَ خُشُوعِي
خَفَقَاتُ الدُّعَاءِ بَيْنَ ضُلُوعِي
هَمَسَاتُ الرَّجَاءِ.. ذَوْبُ دُمُوعِي

★ ★ ★

وَصَلاَةٌ تَرِفُّ بَيْنَ اللَّيَالِي
وَسُكُونٌ يَذُوْبُ ذَوْبَ الخَيَالِ
وَطُيُوفٌ تَمُوجُ مَوْجَ الجَمَالِ
وَنَسِيمٌ وَخَفْقَةٌ مِنْ بَلاَلِ

★ ★ ★

لَمَّهَا الفَجْرُ كُلَّهَا فِي يَدَيْهِ
وَطَوَاهَا رُؤًى عَلَى جَفْنَيْهِ
وَصَدَى بَسْمَةٍ عَلَى شَفَتَيْهِ
وَشَذَا نَفْحَةٍ وَطِيبٍ عَلَيْهِ

★ ★ ★

أَيُّ نُورٍ يَشُقُّ ظُلْمَةَ نَفْسِي
أَيُّ فَيْضٍ عَلَى مُنَايَ وَحِسِّي
رَحْمَةٌ مِنْ نَدَاكَ تَكْشِفُ بُؤْسِي
وَنَدًى مِنْ رِضَاكَ يُطْلِقُ أُنسِي

★ ★ ★

فِي دُرُوبِ الحَيَاةِ أَمْضِي وأُرْسِي
حَيْثُمَا كُنْتُ ... عِبْرَةٌ وتَأَسِّي
مَوْكِبٌ سَارَ فِي مَطَافٍ وَقُدْسٍ
حَمَلَ الوَرْدَ مِنْ أَزَاهِيرِ عُرْسِ

★ ★ ★

لَفْتَةٌ لِلْوَرَاءِ ...! أَيْنَ الأَمَانِي
أَيْنَ أَحْلامُنَا ... وَوَمْضُ الثَّوَانِي
نَتَلَقَّاهُ خَفْقَةً مِنْ جَنَانٍ
وَبَقَايَا مِنْ رَعْشَةٍ وَحَنَانِ

★ ★ ★

لَهْفَةٌ...! هَلْ تُعِيْدُ شَوْقًا نَدِيًّا !
هَلْ رَأَتْ رَوْضَةً وَغُصْنًا طَرِيًّا !
هَلْ رَأَتْ بُلْبُلًا هُنَاكَ خَلِيًّا !
غَابَ فِي أَيْكَةٍ وَعَادَ إِلَيًّا !

★ ★ ★

أَيْنَ أَنْـدَاءُ فَرْحَـةٍ وَلِـقَـاءِ !
أَيْنَ حَسْرَاتُ فُرْقَةٍ وَجَـفَـاءِ !
أَيْنَ رَنَّـاتُ ضِحْـكَةِ الْخُـلَصَـاءِ !
أَيْنَ أَنَّـاتُ حَسْـرَةٍ وَبَـلاءِ !

★ ★ ★

أَيْنَ يَاغُـصْـنُ لَفْـتَـةُ الـنَّـسَـمَـاتِ !
وَعِـنَـاقٌ وَرِقَّـةُ الـلَّـمَـسَـاتِ !
وَاخْضِرَارٌ يَـرِفُّ مِنْ هَمَسَـاتِ !
فَضَّ عَنْهَـا إِشْرَاقَـةُ الـبَـسَـمَـاتِ !

★ ★ ★

هَلْ ذَوَى ذَاكَ وَانْـطَوى كالسَّـرابِ !
جَفَّ كَالْيَأْسِ ... كَالأَسَى.. كَاليَبَابِ !
كَبَقَايَا الأَشْبَاحِ ..وَمْضِ الشِّهَـابِ !
وَتَـلاَشَـى كَهَـمْـسَـةٍ فِي عُبَـابِ !

★ ★ ★

أَيْنَ يَا قَصْرُ بَهْجَـةُ الـغُـرُفَـاتِ
وَشَـذَا زُخْـرُفٍ وَطِـيبُ لِدَاتِ
زُخْـرُفٍ مَلَّ مِنْ يَدِ الـنَّـحَّـاتِ
وَغَـفَـا فِي مَجَاهِـلِ الـذِّكْـرَيَاتِ

★ ★ ★

لَمْ يَنَلْ لَفْتَةً ... نَسُوهُ مَلِيًّا
وَالغَوَانِي شَغَلْنَ عَنْهُ النَّدِيًّا
والنَّعِيمُ المَنْثُورُ نَثْراً غَنِيًّا
والثِّمَارُ انْتَشَتْ فَفَاضَتْ جَنِيًّا

★ ★ ★

وَصُنُوفٌ مِنَ الطَعَامِ شَهِيَّةْ
وَأَوَانٍ تَدُورُ فِيهِ سَخِيَّةْ
وَكُؤُوسٌ تَدُورُ مِثْلَ الرَّعِيَّةْ
وَرُؤُوسٌ مُخَدَّرَاتٌ غَبِيَّةْ

★ ★ ★

وَعَبِيدٌ هُنَاكَ ... نَهْبُ الأَوَامِرْ
كُلَّمَا أَوْمَأَتْ جُفُونٌ بِخَاطِرْ
هَبَّ فِي رَعْدَةٍ وَذُلٍّ صَاغِرْ
ثِقَلُ القَيْدِ وَالهَوَانُ العَاثِرْ

★ ★ ★

وَبَقَايَا مِنْ تُخْمَةٍ وَغُرُورِ
أُلْقِيَتْ فِي قُمَامَةٍ وَقُشُورِ
وَرَمَوْا بَيْنَهَا بَقَايَا ضَمِيرِ
خَلَقًا ... مِنْ نَوَازِعٍ وَشُرُورِ

★ ★ ★

بَيْنَ قَاعَاتِهِ تَمُوجُ الخَطَايَا
قَهْقَهَاتٍ مَحْمُومَةٌ في الزَّوَايَا
تَتَلَوَّى عَلَى صُدُورِ المَرَايَا
فَضَحَتْهَا ... ! وخَلَّفَتْهَا عَرَايَا

★ ★ ★

وَسُكَارَى عَلَى عُبَابِ الخُمُورِ
ونُهُودٍ وَثَّابَةٍ ... وَنُحُورِ
نَزَعَتْ عَنْ غِلَالَةٍ وسُتُورِ
رَهَفًا صَارِخَ الهَوَى والفُجُورِ

★ ★ ★

شَهْوَةٌ لَمْ تَزَلْ تَفُحُّ فَحِيحَا
وَفِرَاشٌ يَلُمُّ هَمْسًا ذَبِيحَا
فَضَّ عَنْ أَيْكَةٍ نِدَاءً جَرِيحَا
وَطَوَى رَعْشَةً أَبَتْ أَنْ تَبُوحَا

★ ★ ★

وَبَقَايَا مِنَ الشُّمُوعِ النَّدِيَّه
وَالمُرُوءَاتُ بَيْنَهَا مَطْوِيَّه
وَبَقَايَا رُجُولَةٍ مَنْسِيَّه
حَرَقَتْهَا ... وَلَمْ تَعُدْ مِنْ بَقِيَّه

★ ★ ★

وَالمَرَايَا تَمُوجُ مَوْجَ الضَّمَائِرْ
كَمْ شُعَاعٍ مَضَى إِلَيْهَا عَاثِرْ
عَادَ مِنْ يَأْسِهِ شَتِيْتَ الخَوَاطِرْ
خَجِلًا ... أَنْ يَكُونَ ظِلًّا لِفَاجِرْ

★ ★ ★

بَيْنَ ظِلَّيْنِ : مُجْرِمٍ وَشَقِيَّة
أَغْفَيَا فِي أَسِرَّةٍ ذَهَبِيَّة
فِي فِرَاشٍ ... نَضَّاحَةٍ وَغَنِيَّة
وَطُيُوفٍ وَرْدِيَّةٍ وَنَدِيَّة

★ ★ ★

دَنَسٌ لَمْ يَدَعْ هُنَاكَ طَهُوْرَا
مَلَأَ الأَرْضَ فِتْنَةً وَفُجُوْرَا
قَتَلَ المِسْكَ نَتْنُهَا وَالعُطُوْرَا
وَعَصَى المُجْرِمُوْنَ رَبًّا قَدِيْرَا

★ ★ ★

أَمْسَكَ الكَأْسَ وَارْتَوَى مِنْ شَرَابِهْ
هَارِبًا مِنْ ضَيَاعِهِ وَعَذَابِهْ
قَالَ : «إِنِّي رَبٌّ» ... ، لِكُلِّ صِحَابَهْ
وَعَبِيْدٌ هَوَتْ عَلَى أَعْتَابِهْ

★ ★ ★

غَرَّهُ عُمْـرُهُ ... وَوَمْضُ بُرُوقِ
وَنَـعِـيمٌ ... على بِسَـاطٍ رَقِـيْقِ
وهـوًى ... مَرَّ في شِعَـابِ الـطَّرِيقِ
فَجَـرَى خَلْفَـهُ جُنُـونَ الَمـشُـوقِ

★ ★ ★

كَمْ جَرَى لاَهِـثًـا يَحُثُّ خُطَاهُ
يَدْفَـعُ الـوَهْـمُ عُمْـرَهُ ورُؤَاهُ
وَأَمَـانِـيْهِ صَاغَـهَـا مِنْ هَوَاهُ
ضَاعَ في زَحْمَـةٍ ... وَضَـاقَـتْ مُنَـاهُ

★ ★ ★

ضَيَّقَ الـقَصْرَ ظُلْمُـهُ والجَـاهُ
وَصِـحَـابٌ ضَجُّـوا هُنَـاكَ وَتَـاهُـوْا
لَمْ تَعُـدْ فُسْـحَـةٌ لِفَـيْضِ هَوَاهُ
ضَيَّقَ الـعَـيْشَ مَا جَنَـتْـهُ يَدَاهُ

★ ★ ★

وَعَـلى الـبَـابِ أُمَّـةٌ مِنْ عَبِـيْدِ
وَأَمَـانٍ مُخَدَّرَاتُ الـوُجُـودِ
وَالأَعَـادِيْ هُنَـاكَ ... عِنْـدَ الحُـدُودِ
وَهُـنَـا ... سَيِّدٌ ... بِقَصْرٍ مَشِـيْدِ

★ ★ ★

وَقَـضَـايَا أَمَـامَـهُ مَنْـثُـورَهْ
لَمْ تكُـنْ عِنْـدَهُ سِوَى أُسْـطُورَهْ
وَقَـطِيعٌ مِنَ الـجُـمُـوعِ الـغَـفِـيرَهْ
تَتَـهَـاوَىٰ نُفُـوسُـهَـا الْمَـنْـخُـورَهْ

★ ★ ★

وَأَطَـلَّ «الـزَّعِـيمُ» مِنْ شُرُفَـاتِـهْ
ثَمِـلاً مِنْ هَوَاه ... مِنْ لَذَّاتِـهْ
لَا يَلُمُّ الـشَّـتَـاتَ مِنْ نَظَرَاتِـهْ
أَفْـلَتَ الـوَهْـمُ مِنْـهُ ... مِنْ كَلِمَاتِـهْ

الـزعـيم:

قَالَ ... : مَهْـلاً فَسَـوْفَ نَحْمِي البِلَادَا
نَبْـذُلُ الـنَّـفْسَ والـغِـنَـى والـتِّـلَادَا
وَرِيَاشًـا ... نبـنِي بِذَا أَمْجَـادا
وَنُـعِـيْدُ الـفِـدَا ... وَنُـحْـيِي الجِـهَـادَا

★ ★ ★

آصْـبِرُوا بَيْنَ شِدَّةٍ وَمَجَـاعَـة
فَدُرُوبُ الـكِـفَـاحِ دُنْـيَا قَنَـاعَـة
لَمْ تَزَلْ أَضْـلُعِـي لَظًى وَضِرَاعَـة
ظَمَـأٌ بَيْنَهَـا يَمُـدُّ صِرَاعَـه

★ ★ ★

كُلُّ لَيْلي أُذِيْبُ فِيْهِ نَهَاري
بين «هَذِي» وَ«تِـلْكَ» أُفْـرِغَ نَارِي
حَائِـراً بَيْنَ زَحْمَـةٍ أَوْ إِسـارِ
عَمَـلٌ دَائِـبٌ بِغَـيْرِ قَرَارِ

★ ★ ★

وَثَـغَـتْ كُلُّ نَعْـجَـةٍ أَوْ شَاةِ
خَدَرٌ فِي عُرُوقِـهِـمْ والـلَّهَـاةِ
وَنَـقِـيقٌ عَلَى ضِفَـافِ الحَيَاةِ
وَضِـيَاعٌ فِي قَفْـرَةٍ وَفَـلَاةِ

★ ★ ★

وَدُمًـى حُرِّكَـتْ وَفَـيْضُ مَطَامِـحْ
وَغَـبَـاءٌ عَلَى المَـلَامِـحِ فَاضِـحْ
وَنِـفَـاقٌ يَفُضُّ تِلْكَ المَـلَامِـحْ
يَفْـضَـحُ النَّـتْـنَ مِنْ خَبِيْثِ الـرَّوَائِـحْ

★ ★ ★

قَامَ مِنْ بَيْنِهِـمْ وَأَوْمَضَ عَزْمًـا
مُؤْمِـنٌ هَبَّ لِلَّذِي هُوَ أَسْـمَـى
حُبُّـهُ اللهَ شَقَّ دَرْبًـا وَأَدْمَـى
وَرَأَى جَنَّـةً وَأَبْصَرَ نُعْـمَـى

★ ★ ★

وَتَخَطَّى مِنَ الْقَطِيعِ رِقَابَهْ
وَتَخَطَّى ثُغَاءَه وَرِغَابَهْ
وَمَضَى يَدْفَعُ الْخُطَى وَثَّابَهْ
يَقْرَعُ الْمَجْدَ أَوْ يُفَتِّحُ بَابَهْ

★ ★ ★

المؤمن:

سَيِّدَ الْقَصْرِ...! هَلْ رأَيْتَ الْبُطُونَا
ضَامِرَاتٍ ... وَهَلْ رَأَيْتَ الْجُفُونَا!
جُدْ عَلَيْهَا بِقَطْرَةٍ كَيْ تُعِيْنَا!
صَبْرَهَا... أَوْ جِهَادَهَا الْمَيْمُونَا!

★ ★ ★

سَيِّدَ الْقَصْرِ...! هَلْ لَدَيْنَا سِلاَحُ
لِنَصُدَّ الْعِدَى ... وَتُشْفَى الْجِرَاحُ
كَمْ رَوَابٍ ... وَمَنْزِلٍ يُسْتَبَاحُ
وَرِجَالٍ صِيْدٍ طَوَتْهُمْ بِطَاحُ

★ ★ ★

كَمْ رَضِيْعٍ بَكَتْ عَلَيْهِ رُبَاهُ
قَتَلَ الْجُوْعُ أُمَّهُ وَأَبَاهُ
مَا انْحَنَتْ لِلصِّعَابِ مِنْهُمْ جِبَاهُ
وَمَضَوْا ... والصَّدَى مَضَى : «رَبَّاهُ»

★ ★ ★

سَيِّدَ الـقَصْرِ...! خَيَّمَ الجَـهْـلُ فِيْنَـا
هَلَ لَنَـا مِنْ مَعَـاهِـدٍ تُؤوِيْنَـا
نَعْـرِفُ اللهَ عِنْـدَهَـا والـيَقِـيْنَـا
نَعْـرِفُ الحقَّ ... والهُدَى ... وَالـدِّينَا

★ ★ ★

أَيْنَ ثَرْواتُـنـا ... وَأَيْنَ المـصَـانِـعْ
أَيْنَ رُوحُ الإِيْمَانِ يَبْـنِي ... يُقَـارِعْ
أَيْنَ مَنْ لَا يَرَى الـبِـلَادَ مَنَـافِـعْ
كَمْ فَتًى مَيِّتٍ ... وَكَـمْ مِنْ ضَائِـع

★ ★ ★

كَمْ عَدُوٍّ نَرَاهُ يَحْكُـمُ فِيْنَـا
مَلَكَ الأَمْـرَ كُلَّهُ وَالـبَـنِـيْنَـا
إِنْ رَآهُ «الـزَّعِـيْمُ» أَحْـنَـى الجَـبِـيْنَـا
وَالـسَّـوَادُ الـلاهِـي يَقُـلْ: «آمِـيـنَـا»

★ ★ ★

رَجَـفَـتْ مِنْـهُ كَفُّـهُ والجُـفُـونُ
رَجَـفَـتْ مِنْـهُ سَاقُـهُ والـعُـيُونُ
قَتَـلَ الخَـوْفُ نَفْـسَـهُ والـظُّنُـونُ

الزعيم مَضَى سائلا:

وَمَضَى سَائِلاً: تُرى مَنْ يَكُوْنُ.. ؟
مَنْ وَرَاءَ الفَتَى ... وَأَيْنَ العُيونُ ؟
أَيُّ شَيْءٍ يَقُوْلُهُ المأفُونُ ؟
اقْتُلُوْهُ ... فَإِنَّهُ مَجْنُونُ
إذبَحُوهُ ... وَهَذِهِ السِّكِّيْنُ

★ ★ ★

وَهُنَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ الشِّيَاهُ
والدُّمَى أَيَّدَتْ لَهُمْ فَتْوَاهُ
لَعَنُوهُ ... وَمَزَّقُوا دَعْوَاهُ
وَالصَّدَى مِنْ أَنِيْنِهِ : «رَبَّاهُ»

★ ★ ★

★ ★ ★

أَيُّ «كُوْخٍ» بِجَانِبَ القَصْرِ قَامَا
هَادِئاً ... أَسكَنَ الهَوَى والغَرَامَا
بينَ زوجَيْنِ لَمْ يَذُوقَا حَرَامَا
مُطْمَئِنَّيْنِ ... أَيْقَنَا ... فَاسْتَقَامَا

★ ★ ★

لَمْ يكُنْ فِيه غَيْرُ خِدْرٍ صَغِيْرِ
وَسَعَتْهُ رَحَابَةٌ مِنْ ضَمِيْرِ
لِطَعَامٍ وَمَجْلِسٍ وَسَرِيرِ
مَنَحَتْهُ نَدَاوَةً مِنْ عُطُورِ

★ ★ ★

أَيُّ ضَوْءٍ حَنَا ضُحًى وَعَشِيًّا
وَشُعَاعٍ رآهُ مَغْنًى نَدِيًّا
وَدُجًى كَمْ كَسَاهُ مِنْهُ حُلِيًّا
فَوَحَ العِطْرُ مِنْ نَدَاهُ زَكِيًّا

★ ★ ★

أَشْرَقَ الكُوخُ بَسْمَةً مِنْ ضِيَاءِ
مِنْ صَبِيٍّ وَمِنْ رَفِيْفِ الهَنَاءِ
وَفَتَاةٍ تَلُفُّ ثَوْبَ الحَيَاءِ
وَرِدَاءَ التُّقَى وَزَهْوَ الإِبَاءِ

★ ★ ★

كَمْ قَضَى يَوْمَهُ يَكِدُّ وَيَسْعَى
وَالِدٌ يَجْمَعُ القُلُوبَ وَيَرْعَى
يَجْمَعُ القُوتَ، يَذْرَعُ الأَرْضَ ذَرْعَا
يَغْرِسُ العَزْمَ، يُنْبِتُ الأَرْضَ زَرْعَا

★ ★ ★

كَمْ سَقَاهَا جَبِيْنُهُ وَرَوَاهَا
وَجَنَا مِنْ غِرَاسِهِ وَرَعَاهَا
بَارَكَ اللهُ مَا حَبَتْهُ رُبَاهَا
فَزَكَا غَرْسُهُ وَطَابَ جَنَاهَا

★ ★ ★

بَلَّلَ الأُفْقَ مِنْ رَوَاءِ جَبِيْنِهْ
سَكَبَتْهُ عُرُوقُهُ بِيَمِيْنِهْ
نَثَرَ القَطْرَ فِي دُرُوب حَنِيْنِهْ
فإذا بالهَجِيْرِ بَرْدُ يَقِيْنِهْ

★ ★ ★

كُلَّمَا أَوْقَدَ الهَجِيْرُ لَظَاهُ
حَفَّهُ بالظِلَالِ طُهْرُ خُطَاهُ
وَسَقَاهُ النَّدى ... وَرَطَّبَ فاهُ
ذِكْرُهُ اللَّهَ ... لَمَّ فَيْضَ هُدَاهُ

★ ★ ★

أُمْنِيَاتٌ تَفِيْضُ مِنْ إِيْمَانِهْ
لَيْسَ مِنْ وَهْمِهِ وَغِرَّةِ شَانِهْ
هِيَ مِنْ صِدْقِهِ وَمِنْ إِحْسَانِهْ
زَهَرَتْ بَيْنَ أَمْنِهِ وَأَمَانِهْ

★ ★ ★

كُلَّما عَادَ مَوْرِقَ الأُمْسِيَاتِ
لَقِيَتْهُ نَضَارَةُ البُشْرَيَاتِ
بَسْمَةٌ أَشْرَقَتْ عَلَى القَسَمَاتِ
نَفَحَتْهَا طَهَارَةُ اللَّفَتَاتِ

★ ★ ★

مَدَّ فِي كُوْخِهِ عَلَى أَبْنَائِهْ
كِسْرَةَ الخُبْزِ أَوْ يَسِيْرَ غِذَائِهْ
طَعِمُوْا ... وَارْتَوَوْا ... هَنِيءَ بَلَائِهْ
وَجَرَى الحَمْدُ لَيِّنًا بِدُعَائِهْ

★ ★ ★

وانْطَوَوْا مُبْكِرِينَ بَعْدَ الصَّلَاةِ
فِي رُقَادٍ وَهَدْأَةٍ وَسُبَاتِ
رَفْرَفَتْ بَيْنَهُمْ شُفُوْفُ التُّقَاةِ
نَاعِمِيْ البَالِ ... طَيِّبِيْ الأُمْنِيَاتِ

★ ★ ★

هَبَّ مِنْ لَيْلِهِ ...! جَفَتْهُ المَضَاجِعْ
وَدَعَاهُ نِداءُ قَلْبٍ خَاشِعْ
وَطُيُوفٌ ... عَلَى الجُفُوْنِ الدَّوَامِعْ
رَعَشَاتٌ مِنَ الأَكُفِّ الضَّوَارِعْ

★ ★ ★

قَدْ صَفَا الـقَـلْبُ، مَا رَأَى فِيْهِ حِقْـدَا
وَخَـلَا مِنْ هَوًى وَأَقْـبَـلَ زُهْـدَا
تَرك الـنَّـاسَ . . . ! كَيْ يَرَىٰ مَا أَعَـدَّا
لِيَرَى نَفْـسَـهُ . . . ! رَأَى الأَمْـرَ جِدَّا

★ ★ ★

غَنِـيَتْ أَنْـفُسٌ وَلَانَـتْ قُلُوبُ
وَدُعَـاءٌ مَعَ الـضُّـلُوعِ يَذُوبُ
وَأَكُفٌ تَمُوْجُ . . . ! ، دَمْـعٌ . . . ! وَجِيْبٌ !
وَطُـيُوفٌ تَلُمُّـهُـنَّ الـغُـيُوبُ

الزوج يدعو في جوف الليل:

رَبَّـنَـا . . . ! سَبَّـحَـتْ لَكَ الـفَـلَوَاتُ
وَأَقَـاصِي الأَعْـمَاقِ والـظُّلُمَاتُ
وَالحَصَى . . . ! والـرِّمَـالُ . . . ! والـرَّبَـوَاتُ
وَرَفِـيْفُ الـغُـصُـونِ . . . ! والـزَّهَـرَاتُ

★ ★ ★

وَنِـدَاءُ الـطُّيُورِ . . . ! والـبُـكُـنَـاتُ
وَهَـدِيْلُ الحَـمَامِ . . . ! والهَـمَـسَـاتُ
وَرَفِـيفُ الـضَّـمِـيْرِ . . . ! والـنَّـظَرَاتُ
مَوْكِـبٌ رَفْـرَفَـتْ بِهِ الآيَاتُ

★ ★ ★

رَبَّنَا . . . ! مِنْ يَدَيْكَ فَاضَ النَّعِيْمُ
والهُدَى مِنْكَ ، والحَنَانُ الرَّحِيْمُ
وَزَكَاةُ النُّفُوسِ مِنْكَ تَقُومُ
وَاهِبٌ . . . قَادِرٌ . . . عَزِيْزٌ كَرِيْمُ

* * *

قَصَّرَتْ. رَبَّنَا - العَزِيْمَةُ مِنَّا
وَالتَوَتْ أَنْفُسٌ عَلَى الدَّرْبِ وَهْنَا
وَرَمَاهَا الهَوَى وَأَفْقَدَ أَمْنَا
غَرِقَتْ فِي ظَلَامِهَا تَتَمَنَّى

* * *

وَمَضَى اللَّيْلُ في صَدَى دَعَوَاتِهْ
وَالنُّجُومُ الزَّهْرَاءُ رَعْشَةُ ذَاتِهْ
وَنَسِيْمٌ غَفَا عَلَى عَبَرَاتِهْ
وَصَحَا . . . !! يَنْثُرُ النَّدَى عَلَى رَبَوَاتِهِ

* * *

يَلْمِسُ الأُفْقَ في هَوًى وَحَنِيْنْ
يُوْقِظُ النُّوْرَ مِنْ مَرَاقِدِ لِيْنْ
يُوْقِظُ الزَّهْرَ مِنْ دَلَالِ جُفُونِ
يُوقِظُ العِطْرَ فِي مَرَابِعَ غِيْنِ

* * *

مَوْكِبُ الفَجْرِ فَضَّ مِنْ أَلْحَانِهْ
رَجَّعَتْهَا الرُّبَى شَذَا أَلْوَانِهْ
حَائِرَاتٍ ...! تَعَثَّرَتْ بِجِنَانِه
فَإِذَا هُنَّ عَبْقَرِيُّ بَيَانِهْ

★ ★ ★

وَمَضَى ... وَالْيَقِينُ يَنْشُرُ آيا
وَيَلُمُّ النَّدَى ... وَفَيْضَ العَطَايَا
هَا هُنَا ... أَوْ هُنَا يَشُدُّ المَطَايَا
دَاعِياً ... لَا يَهَابُ خَطْفَ المَنَايَا

★ ★ ★

لَيْسَ لِلخُبْزِ وَحْدَهُ كَانَ يَسْعَى
دَعْوَةٌ تَدْفَعُ العَزِيمَةَ دَفْعَا
دَعْوَةُ اللهِ ... تَقْرَعُ النَّاسَ قَرْعَا
وَهُدًى يَمْلَأُ النُّفُوسَ وَيَرْعَى

★ ★ ★

كَمْ تَمَلَّى نَدَاوَةَ القُرْآنِ
وَرَعَى سُنَّةً وَصِدْقَ بَيَانِ
وَرَأَى أُمَّةً ... وَذُلَّ هَوَانِ
فَمَضَى فِي مَوَاكِبِ الإِيْمَانِ

★ ★ ★

ذَاتَ يَوْمٍ تَلَبَّثُوا ... لإِيَابِهْ
وَشَكَتْ زَوْجُهُ طَوِيْلَ غِيَابِهْ
وَبَنُوْهُ ... وَعُصْبَةٌ مِنْ صِحَابِهْ
وَحَنِيْنُ الظِّلَالِ ... فِي مِحْرَابِهْ

★ ★ ★

وَهَوَى لَيْلِهِ ... وَخَفْقُ دُعَائِهْ
وَطُيُوفٌ تَمُوجُ فِي أَرْجَائِهْ
حَائِرَاتٍ يَسْأَلْنَ عَنْ أَنْبَائِهْ
عَصَرَ الشَّوْقُ دَمْعَةً لِلِقَائِهْ

★ ★ ★

وَإِذَا أُمَّةٌ ... وَظِلُّ مَصَائِبْ
حَمَلَ الجُثَّةَ النَّدِيَّةَ صَاحِبْ
بَيْنَ عَبْرَاتِهِ ... نَجِيٌّ مَوَاكِبْ
بَيْنَ أَنَّاتِهِ - دَوِيٌّ كَتَائِبْ

★ ★ ★

ولداه والزوجة:

أَبَتَاهُ ...! وَغَيَّبَتْهَا المَدَامِعْ
إِيْهِ زَوْجَاهُ ...! لَوْعَةٌ وَفَوَاجِعْ
وَأَحَاطُوْهُ بالقُلُوبِ الخَوَاشِعْ
وَأَسَىً رَاجِفٍ وَخَفْقٍ ضَارِعْ

★ ★ ★

وَبقَـايَا إِشْرَاقَـةٍ وَابْـتِـسَـام
تَتَـهَـاوَى عَلَى أَنِينٍ دَامِـي
وَعَـلى غُصَّـةٍ وَدَمْـع هَامِـي
وَتَهَـاوَتْ بَقِـيَّةُ الأَحْـلَام

★ ★ ★

الزوجـــه:

قَتَـلُوهُ ...! فَمَنْ هُمُ...؟ قَتَـلُوهُ!
الأعـادي هُنَـاكَ ... هَلْ صَرَعُـوهُ؟
الـيَهُـودُ الـغُـزَاةُ ... هَلْ طَعَـنُـوهُ؟
أَيُّ مَسْـتَـعْـمِـر ... ؟ وَأَيْـنَ ذَوُوهُ؟

★ ★ ★

الفـــتى:

وَأَجَـابَ الـفَـتَى ... وضَـمَّ جِرَاحَـهْ
أَهْـلُهُ ... مَزَّقُـوا ... هُمُ أَفْـرَاحَـهْ
طَعَـنُـوهُ ... وَفَـجَّـرُوا أَتْـرَاحَـهْ
وَأَسَـالُـوْا جِرَاحَـهُ الـنَّـضَّـاحَـة

★ ★ ★

وَثُـغَـاءُ الـقَـطِيعِ وَهْـوَ يُسَـاقُ
وَرُؤَى حَاكَـهَـا الهَـوَى والـنِّـفَـاقُ
وَ «صَـغِـيْرٌ» وَعُـصْـبَـةٌ وَرِفَـاقُ
رَكِـبُـوهَـا جَرِيْمَـةً لَا تُطَاقُ

★ ★ ★

الزوجـــه:

أَهْـلُهُ...! جَارُهُ! وَذَاكَ الـقَـرِيْبُ !
مَزَّقُـوْهَـا عُرًى...! فأَيْنَ الـلبيبُ.. !
رَحِـمٌ مَزَّقُـوْه...! وَهُـوَ نَجِـيْبُ !
أَنَـسُـوا أَنَّـمَا عَلَيْهِـمْ رَقِـيبُ !

★ ★ ★

كَيْفَ تُرْعَـى لَنَـا إِذَنْ حُرُمَـاتُ
حِيْنَ يَقْضِي عَلَى الـبَـنِـيـنَ الـرُّعَـاةُ
مَنْ تَوَلَّـوا عَنِ الـعَـقِـيْدَةِ مَاتُـوْا
وَطَـوَتْهُـمْ بِغَـيِّهِـمْ ظُلُمَاتُ

★ ★ ★

عَجَبًـا كَيْفَ قُطِّعَـتْ أَرْحَـامُ
وَغَـشَـى أَعْـيُنَ الـوَرَى إِظْـلَامُ
وَالْهَـوَى سَيِّدٌ يَدَاهُ زِمَـامُ
وانْـطَوَتْ بَيْنَـنَـا قَنـاً وَحُـسَـامُ

★ ★ ★

الفـــتى:

هَوِّنِيْ ... أَحْـسِـنِيْ بِرَبِّـكِ ظَنًّـا
مَا قَضَـى مَنْ مَضَـى وَأَوْرَثَ يُمْـنَـا
وَرَوَى الحـقَّ مِنْ دِمَـاهُ وَأَغْـنَـى
وَمَـضَـى لِلْجِـنَـانَ يَطْلُبُ حُسْـنَـى

★ ★ ★

فَسَتَمْضِي عَلَى الطَّرِيقِ الكَتَائِبْ
تَمْلأُ الأُفْقَ مِنْ نَدِيَّ المَوَاكِبْ
مِنْ شَهِيْدٍ تَخَطَّفَتْهُ القَوَاضِبْ
فَأَضَاءَتْ مِنَ النُّفُوسِ الغَيَاهِبْ

* * *

الزوجة:

كَفَّنُوهُ مُلاَءَةً مِنْ كُبُوْدِ
وَانْسُجُوا مِنْ دَمٍ غَنِيٍّ البُرُودِ
وَانْثُروا فَوْقَهُ زَكِيَّ الوُرُوْدِ
وَاسْكُبُوا مِنْ حَنَانِهِ المَعْهُودِ
وَأَحِيْطُوا جُثْمَانَهُ بالخُدُودِ
بالرَّيَاحِينِ ... بالنَّدَى ... بالجُوْدِ
أَنْزِلُوهُ عَلَى أَكُفِّ الصَّيْدِ
مَنْزِلاً شِيْدَ مِنْ طَهُوْرِ المُهُودِ
أَنْزِلُوهُ مَعَ الدُّعَاءِ الرَّشِيْدِ
وَرَجَاءٍ يُلِحُّ بالتَّرْدِيْدِ
وَصَدَى لَيْلِهِ وَخَفْقِ سُجُودِ
أَنْ نَرَى رَمْسَهُ نَدِيَّ شَهِيْدِ
رَوْضَةً أَزْهَرَتْ بِنَفْحِ خُلُودِ
بَلَّلُوهُ بِدَمْعَةِ المَفْؤُوْدِ

وَانْشُرُوا الطِّيْبَ مِنْ زُهُوْرٍ وَعُوْدِ
وَظِلَالاً مِنَ الهَوَى المَمْدُودِ
وَنَسِيمًا نَدَاهُ رَفُّ العُهُودِ
وَغُصُونًا تَحْنُو حُنُوَّ العَمِيْدِ
وَأَحِيْطُوهُ بالْقَنَا وَالبُنُودِ
وَنِدَاءٍ مُرَجَّعٍ وَنَشِيْدِ

* * *

وَمَضَتْ خَطْوَةٌ وَظِلُّ شَبَابِ
وَدُمُوْعٌ مِنَ الفَتَاةِ الكَعَابِ
وَحَنَانٌ يَمُوجُ بَيْنَ الضَّبَابِ
بَيْنَ نَجْوَى أُمُومَةٍ وَاضْطِرَابِ

* * *

لَمْ تَكَدْ تَخْتَفِي الخُطَا مِنْ إِيَابِ
فَإِذَا صَرْخَةٌ هُنَاكَ بِبَابِ
وَعَبِيْدٌ تَرْمِي حُطَامَ رِغَابِ
سَيِّدٌ صَارَ نُهْبَةً لِلذِّئَابِ

* * *

فِي زَوَايَا حَفِيرَةٍ وَتُرَابِ
طَرَحُوهُ ... صَرِيْعَ كَأْسِ شَرَابِ
وَهَوَى لَذَّةٍ وَمُتْعَةِ صَابِي
وَرَمَوْا فِيْهِ قِطْعَةً مِنَ عَذَابِ

* * *

وَطَـواهُ الـثَّـرَى وَوَحْـشَـةُ رَمْسِ
لَمْ تُرَافِـقْـهُ مِنْ مَلاعِـبِ أُمْسِ
غَيْرُ صَمْـتٍ مِنَ الـتُّرَابِ وَطَـمْسِ
وَحْـشَـةٌ لَمْ تَجِدْ بَقِـيَّةَ أُنْسِ

★ ★ ★

الخاتمة:

هَا هُنَـا ... قَدْ تَجَاوَرَ الـقَـبْرَانِ
لَيْسَ مِنْ سَيِّدٍ وآخَـرَ عَانِي
فَهُـمَا ... فِي عَدَالَـةِ المِـيْزَانِ
عَنْـدَ رَبِّ الـعِـبَـادِ وَالأَكْـوَانِ
عِنْـدَ آيَاتِ قَادِرٍ رَحْمَـانِ
أَيُّ قَصْرٍ يُجْدِي وَأَيُّ حِسَـانِ
أَيُّ مَالٍ ... وَأَيُّ رِفْـعَـةِ شَانِ
وَانْـزَوَتْ عَنْـهُ رَعْـشَـةُ الـعُـبْـدَانِ
وَانْـزَوَتْ زَحْمَـةُ الـنِّـفَـاقِ الجَبَـانِ
والأَمَـانِيْ وَشَـهْـوَةُ الـسُّـلْطَانِ
والمَـرَايَا مَحْمُـومَـةُ الـلَّـمَـعَـانِ
وَكُـؤُوسٌ ... وَقَـاعَـةٌ ... وَأَوَانِيْ
وَفِـرَاشٌ ... وَلَهْـفَـةٌ ... وَغَـوَانِيْ
طُوِيَتْ لَمْحَـةً وخَـطْفَ ثَوَانِيْ

وَعَـلى خِرْقَـةٍ مِنَ الأَكْـفَـانَ
طُوِيَتْ بَيْنَ حُفْـرَةٍ وَهَـوَانِ
طُوِيَتْ فِي غَيَابَـةِ الـنِّـسْـيَانِ
وَلَهَـا بَعْـدَ ذَاكَ نَشْرٌ ثَانِي
عَجَـبًـا ... مِنْ طَوَارِقِ الحَـدَثَـانَ
عَجَـبًـا كَمْ مَضَـتْ عَلَى الأَزْمَـانَ
مِنْ عِظَامٍ مَاتَـتْ عَلَى الآذَانِ
عِبَرٌ ... كَمْ مَضَـتْ بِكُـلِّ بَيَانِ
وَتَـلاشَـتْ عَلَى هَوًى وَهَـوَانِ

★ ★ ★

١٣٩٨/٦/٢٠
١٩٧٨/٥/٢٧

كانت أُمَّة واحدة... أُمَّةً عظيمة يجمعها دين واحد دين عظيم... دين الإسلام فتفرَّقت على لهو وشتات فهل من عودة؟

عَرائِسُ المَجْد

عُوْدِي لِمَغْنَـاكِ في السَّـاحـاتِ وارْتَـقِـبـي
عَرَائِسَ المَجْـدِ...! خَفْقَ النَّصْـلِ والقُضُبِ

هُنَـا حِمَاكِ الَّـذِي خَلَّفْـتِـهِ زَمَـنًـا
يَهِيْجُـهُ مِنْـكِ عِطْرُ الـشَّـوْقِ والَـنَّـسَـبِ

خَلَّفْـتِـهِ ... ولَـيَالِي الـعُـرْسِ زَاهِـرَةٌ
وَنَـشْـوَةُ الـعِـزِّ فِي صَفْـوٍ وَفِي طَرَبِ

تَخَيَّرَتْ لَكِ مِنْ أَحْـلَامِـهَـا دُرَراً
وَمِـنَ أَمَـانِي الـتُّـقَـى مُوْشِـيَّةَ الـقُـشُـبِ

وَكُـلُّ جَوْهَـرَةٍ فِي تَاجِـكِ ائْـتَـلَقَـتْ
فَرِيْدَةَ الـدَّهْـرِ أَوْ بِكْـراً مِنَ الأَرَبِ

عَلَى الجُفُونِ رَجَاءٌ غَيْرُ مُنْهَزِمِ
وَفِي مُحَيَّاكِ عَزْمٌ غَيْرُ مُضْطَرِبِ

وَبَيْنَ أَحْنَائِكَ الآمَالُ مَاجَ بها
عَلَى هُدَى الحَقِّ صِدْقُ الظَّنِّ والرَّغَبِ

★★★

عُوْدِي لِمَغْنَاكِ مَا زَالَتْ غَرَائِسُهُ
تَمُدُّ مِنْ ظِلِّهَا أَوْ عُوْدِهَا الرَّطِبِ

وَلَمْ تَزَلْ مِنْ لَيَالِي العُرْسِ شُعْلَتُهَا
تُضِيء مِنْ وَهْدَةٍ أَوْ ظُلْمَةِ الشُّعَبِ

وَفِي المَيَادِيْنِ فُرْسَانٌ سُرُوجُهُمُ
عَلَى الضَّوَامِرِ شَوْقُ الفِتْيَةِ النُّجُبِ

هُنَا حِمَاكِ ... فَعُودِي إِنَّ لَهْفَتَهُ
إِلى اللِّقَا خَفْقَةُ الأَجْيَالِ والحِقَبِ

هُنَا المَيَادِينُ ... أَصْدَاءُ الفُتُوحِ بِهَا
مَوْجٌ بِكُلِّ نَدِيِّ السَّاحِ مُخْتَضِبِ

هُنَا الدِّمَاءُ التي سالت مُرَنَّحَةً
للهِ خَالِصَةً في اللهِ لَمْ تُرِبِ

كَمْ عَطَّرَتْ مِنْ شَـذَا الإِيْمَانِ رَابِـيَةً
وَمِـنْ عَبِـيْرٍ عَلَى الـسَّـاحَـاتِ مُنْـسكِـبِ

هُنَـا الـنُّـبُـوَّةُ . . . ! مَغْنَـاكِ الـذي عَبِقَتْ
فِيْهِ الـنُّـبُـوَّةُ أُغْـنَـى كُلَّ مُنْسَرَبِ

وَمِـنْ طُيُوفِ الهُـدَى جِبْرِيْلُ يَخْفِـقُ فِي
وَحْـيٍ وَيَهْـتِـفُ بالآيَاتِ والـرَّهَـبِ

مَا مَسَّ حانِـيَةً إِلَّا وَقَـدْ عَبِـقَـتْ
بِطِيبِـهِ نَائِـيَاتُ الـبِـيْدِ وَالهِـضَـبِ

يَفِـيْضُ بالـنُّـورِ يَغْـشَـى كُلَّ نَاحِـيَةٍ
يَشُـقُّ مِنْ ظُلْمَـةٍ يَرْمِـي مِنَ الحُـجُـبِ

يُزِيْحُ عَنْـكِ رُكَـامَ الجَـاهِـلِيَّةِ مِنْ
ظُلْمٍ وَمِـنْ فِتْـنَـةٍ عَمْـيَاءَ، مِنْ كَذِبِ

طِيبِـي رِمَـالاً على الـصَّـحْـرَاءِ قَدْ مَزَجَتْ
نُوْراً مِنَ الـوَحْـي مَزْجًـا بالـدَّمِ السَّرِبِ

حَتَّـى تأَلَّـقْـتِ حَبًّـا . . . ! كُلُّ لُؤْلُـؤَةٍ
نُوْرٌ وَعِـطْرٌ فَيَا للمَـنْـظَرِ الـعَـجَـبِ

تِيهي رِمَالَ الصَّحَارى لا أَرى شَرَفاً
أَعَزَّ أَوْ رُتْبَةً أَعْلى مِنَ الرُّتَبِ

لا تُفْزِعَنَّكِ أَشْواكٌ بِرَوْضَتِهِ
سَيَخْضُدُ الشَّوْكَ زَحْفُ الفارِسِ الضَّرِبِ

وَلَا الأَفَاعِي إذا فَحَّتْ بِسَاحَتِهِ
عَلَى البَوَاتِرِ قَطْعُ الرَّأْسِ والذَّنَبِ

★ ★ ★

هُنَا رُبَى مَكَّةٍ طَافَ الرَّسُولُ بِهَا
عَلَى هُدَى الوَحْيِ في صَحْبٍ وفي عُصَبِ

يَطُوْفُ بِالْبَيْتِ والرَّحمٰنُ يَحْرُسُهُ
وَحَوْلَهُ مِنْ جُنُودِ الحَقِّ كُلُّ أَبِي

تَهْوِي إلى الأَرْضِ أَصْنَامٌ مُحَطَّمَةٌ
عَلَى المَطَارِقِ فِي ذُلٍّ وَفِي رُعُبِ

حَنَتْ عَلَى الخِزْيِ هَامَاتٍ مُلَطَّخَةً
كُلُّ الطَّواغِيتِ مِنْ وَهْنٍ وَمِنْ نَصَبِ

وَدَعْوَةٌ لَمْ تَزَلْ تَبْنِي وَتَعْمُرُ مِنْ
قَلْبٍ وَتَنْشُدُ فِي الآفَاقِ مِنْ أَرَبِ

عَلَى خُطَى هِجْـرَةٍ للهِ صَادِقَـةٍ
تَمُدُّ فِي الـدَّهْـرِ زَهْـوَ الـفَـوْزِ والـغَـلَبِ

لِطِيْبَـةٍ وَبَنُـو الأَنْـصَـارِ قَدْ فَتَـحَـتْ
قُلُوبَهَـا لِضِـيَاءٍ مُقْـبِـلٍ وَنَـبِي

وَجَـرَّدَتْ فِي سَبِـيلِ اللهِ مُقْـبِـلَةً
عَلَى الجِـنَـانِ سُيُوفَ الـنَّصْرِ مِنْ قُرُبِ

رَوَّتْ «بِـبَـدْرٍ» رِمَـالاً زَادَهـا أَلَـقًـا
جُنْـدٌ مِنَ اللهِ فِي خَفَّـاقَـةِ الـسُّـحُـبِ

وَلَمْ تَدَعْ «أُحُـداً» إِلاَّ وَقَـدْ جَعَـلَتْ
فِيهِ شَهَـادَةَ صِدْقٍ غَايَةَ الـطَّلَبِ

هُنَـالِـكَ الـنَّصْرُ...! فِي مَيْدَانِـهِ فُتِحَتْ
إِلى الهُـدَى سُبُـلٌ لَوْلاهُ لَمْ تُصَـبِ

مَوَاكِـبٌ رَفَـعَـتْ فِي كُلِّ مَعـرَكَـةٍ
رَايَاتِهَـا خَافِـقَـاتِ الـعُـوْدِ وَالـعَـذَبِ

تَمْضِي مَعَ الـدَّهْـرِ والـقُـرْآنُ يَنْشُرُ مِنْ
ظِلٍّ عَلَيْهَـا نَدِيٍّ وَارِفٍ رَحِـبِ

يَصُوْغُهَا الحَقُّ بُنْيَانًا عَلَى سُنَنٍ
وآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ لَمْ يُرِبِ

جَرَى مَعَ الدَّمِ فِيْ أَوْصَالِهَا فِطَراً
نَقِيَّةً فَتَلَقَّتْ صَفْوَةَ الكُتُبِ

مَا شَابَهُ مِنْ غُثَاءِ النَّاسِ شَائِبَةٌ
وَلاَ ضَلاَلُ الهَوَى أَوْ فِتْنَةُ الرِّيَبِ

نَبْعًا يُرَوِّي مِنَ الأَيَّامِ مُجْدِبَهَا
وَيَزْرَعُ الخَيْرَ في وادٍ وفي رَحَبِ

★ ★ ★

أَرْضَ الجَزِيرَةِ كَمْ أَنْبَتِّ مكْرُمَةً
عَلَى رِمَالِكِ كَمْ أَوْصَلْتِ مِنْ سَبَبِ ؟ !

هِذِي الرِّيَاضُ فَكَمْ دَوَّتْ مَنَازِلُهَا
بِمَعْرَكٍ في سبيل اللهِ لَمْ يَخِبِ

قَضَتْ عَلَى فِتْنَةٍ هَوْجَاءَ فانْدَحَرَت
مُوَلِّيَاتٍ فُلُولُ الشِّرْكِ والكَذِبِ

وَرِدَّةٍ ردَّهَا الرَّحْمٰنُ خائبَةً
وَصَدَّعَ اللهُ مِنْ بُنْيَانِهَا الخَرِبِ

فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ ذِكْرَى مُعَطَّرَةٌ
نَدِيَّةٌ تَرْتَوِي بِالْمَنْهَلِ الْعَذِبِ

★ ★ ★

عَرَائِسَ الْمَجْدِ...! عُوْدِي كُلُّ حَانِيَةٍ
أَضْحَتْ بِذِكْرَاكِ مَغْنَى المنزِلِ الخَصِبِ

عُوْدِي فَمَغْنَاكِ رَيَّانٌ عَلَى وَصَبٍ
مِنَ الْهَوَى شَيِّقِ الأَكْنَافِ والْكُثُبِ

وَكُلُّ صَادِقَةٍ مِنْ حَوْلِهَا انْطَلَقَتْ
تُعِيْدُ مِنْ عُرْوَةِ الإِيْمَانِ والنَّسَبِ

لَوْلاَ الْهُدَى جَفَّتِ السَّاحَاتُ وانْطَفَأَتْ
بِهَا اللآلِئُ بَيْنَ الْفَقْرِ والْجَدَبِ

★ ★ ★

تَلَفَّتِي...يَا رِمَالَ الْبِيدِ...! كَمْ طَلَعَتْ
مَعَ اللَّيَالِي حُشُودُ الْكَرْبِ والنُّوَبِ

أَنَّى تَلَفَّتِّ أَحْبَالٌ مُقَطَّعَةٌ
وَرِدَّةٌ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَمْ تَثُبِ

عَوَّتْ ذِئَابٌ وَمَدَّتْ مِنْ مَخَالِبِهَا
مُدَمِّيَاتٍ مِنَ الأَشْلاَءِ والْحَرَبِ

عَدَوا عَلَى اَلْمَسْجِدِ الأَقْصَى بِغَائِلَةٍ
مِنَ الخِدَاعِ وَمَكْرٍ عَنْهُ «مُنْتَدَبِ»

يُصَدِّعُ الشَّرْقَ طَرْقًا مِنْ مكَائِدِهِ
بِكُلِّ دَاهِيَةٍ مَجْنُونَةِ - اللَّهَبِ

وَالنَّاسُ بَيْنَ سُكَارَى أَوْ عَبِيْدِ هَوًى
عَلَى حُطَامٍ مِنَ الأَهْوَاءِ والرَّغَبِ

كَأَنَّمَا الشَّرْقُ أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ
أَوْ أَنَّ سُمْرَ القَنَا أَضْحَتْ مِنَ الغَرَبِ

مَدَافِعُ القَوْمِ صَوْتٌ لَا لَهِيبَ لَهُ
وَمَدْفَعُ الكُفْرِ نَارُ اَلْمَوْتِ والعَطَبِ

رُدِّي رُبَى «النِّيلِ» هل في الدار نائِحَةٌ
أَمْ أَنَّ هَذِى لَيَالِي الأُنْسِ والطَرَبِ

وَيَا «فُرَاتُ» فَهَلْ نَاجَيْتَ شَارِدَةً
مِنَ الحَمَائِمِ عَنْ غُصْنٍ لَهَا رَطِبِ

أَلُمُّ عَنْ «بَرَدَى»ذِكْرَى لَعَلَّ بِهَا
زَحْفًا إِلى اَلْمَوْتِ يَمْضِي غَيْرَ مُنْسَحِبِ

عَلَى ضِفَافِكَ يَا أُرْدُنُّ هَلْ طَلَعَتْ
عَلَى الْمَصَابِ رُؤَى فِي الْمَوْقِفِ الْحَزِبِ

أَنَّى تَلَفَّتُّ فِي دَارِي وَجَدْتُ بِهَا
بَيْنَ السَّوَادِ نَشِيْداً غَيْرَ مُكْتَئِبِ

حَتَّى كَأَنَّ الأَسَى أَضْحَى بِهَا عُرُساً
أَوْ نَشْوَةُ اللَّهْوِ قَدْ أَعْمَتْ عَنِ النُّوَبِ

أَيُّ الإِذَاعَاتِ لَمْ تُطْلِقِ أَغَانِيَهَا
مُوَشَّيَاتٍ عَلَى لَحْنٍ لَهَا عَذِبِ

وَكُلُّ غَانِيَةٍ أَغْفَتْ عَلَى سُرُرٍ
وَأَطْبَقَتْ مِنْ جُفُونِ الشَّوْقِ وَالْهُدُبِ

وَحَوْلَهَا مِنْ دُفُوفِ اللَّهْوِ سَادِرَةٌ
وَرَقْصَةُ الْمَوْتِ فِي سَاحٍ وَفِي عَتَبِ

عُوْدِي رِمَالَ الصَّحَارَى هَلْ رَأَيْتِ أَسًى
مُلَفَّعًا بِسَوَادِ اللَّيْلِ وَالشَّجَبِ

هَلَّا قَذَفْتِ عَلَى السَّاحَاتِ مِنْ عُصَبٍ
مَيْمُونَةٍ وَصَلَتْ مِنْهَا إِلَى عُصَبِ

رُدِّي لَنَـا مِنْ أَبِي بَكْـرٍ وَمِـنْ عُمَـرٍ
وَمِـنْ عَلِيٍّ وَعُـثْـمَانٍ وعَـزْمِ أَبِي

وَمِـنْ مُعَـاذٍ وَسَـعْـدٍ وَالأُلى نَهَضُـوْا
لَمَّا دُعُـوْا فَأَجَـابَـتْ نَخْـوَةُ الـنُّـجُـبِ

«أَبُـو دُجَـانَـةَ» قَدْ شَدَّ الـعِـصَـابَـةَ فِي
رَأْسٍ وَمَـدَّ نِصَـال الْمَـوْتِ والـعَـطَبِ

وَذَا «عُـمَـيْرٌ» وَقَـدْ أَلْـقَـى بِتَـمْـرَتِـهِ
يَمْضِي إِلى جَنَّـةٍ خَضْرَاءَ لَمْ تَغِـبِ

رُدِّي لَنَـا صُدُقًـا فِي اللهِ ... كُلُّ فَتًـى
أَغَـرَّ يَنْـشُـبُ مِنْ بِيْضٍ وَمِـنْ يَلَبِ

★ ★ ★

عَرَائِسَ الْمَـجْـدِ...! عُوْدِي كُلُّ نَاحِـيَةٍ
أَنَّـى الـتَـفَـتِّ صَفَـاءُ الـصِّـدْقِ والـنَّـسَـبِ

سيطلعُ الـفَـجْـرُ مَهْـمَا طَالَ مَوْعِـدُهُ
عَلَى شُمُـوسٍ مِنَ الآفَـاقِ والـسُّـحُـبِ

يَزِيْنُ مَغْـنَـاكِ فِيْهِ كُلُّ لُؤْلُـؤَةٍ
رَجَـوْتِهَـا وَعُـقُـودُ الـدُّرِّ والـذَّهَـبِ

١٣٩٩/٤/٢١
١٩٧٩/٣/١٩

غرق كثير من المسلمين في المظهر وأضاعوا الجوهر وخارت الهمم والعزائم . . . وضعف الجهاد . . . ونضب العلم والفقه

ضياع

أرْخَوْا هَوَاهُمْ وَمَدُّوا من «مَسَابِحِهِمْ»
وَزَيَّنُوا من مُسُوحِ الكِبْرِ والبَطَرِ

وَتَمْتَمُوا حَلَقَاتِ الذِّكرِ لاَهِيَةً
نُفُوسُهُمْ وَغَفَوْا في نَاعِمِ السُّرُرِ

وَفَلْسَفُوْا كُلَّ تَقْصِيرٍ وَمَعْصِيَةٍ
بِمَنْطِقٍ عَاجِزِ التِبْيَانِ مُحْتَقَرِ

لَمْ يَتْرُكُوا مِنْ أُمُورِ الدِّينِ بَيِّنَةً
إلاَّ رَمَوْهَا عَلَى تِيْهٍ مِنَ الفِكَرِ

ثُمَّ ادَّعُوا نَسَبًا للدِّينِ وَيْحَهُمُ
وَشَائِجُ الدِّينِ تَقْوَى القَلْبِ والفِطَرِ

وَهِمَّـةٌ نَهَضَـتْ للهِ صَادِقَـةً
وَلَمْ تُوَلِّ الـعِـدَى في الـرَّوْعِ مِنْ دُبُـرِ

تَمَسَّـكَـتْ بِكَـتَـابِ اللهِ وَاعْـتَـصَـمَـتْ
بِسُـنَّـةٍ وَمَـضَـتْ مَتْـبُـوعَـةَ الأَثَـرِ

١٩٧٧

بَيْنَ شَقِيقَتَيْنِ

إحداهما تحتضر وخطيبها غائب

الأخت :

مَاذَا أَقُولُ إِذَا ما عَادَ فِي وَلَهٍ
وَطَافَ يَسْأَلُ أَهْلَ الحَيِّ حَيْرَانَا
تَكَادُ أَشْوَاقُهُ تُوْمِيْ بِلَهْفَتِهِ
وَتَفْضَحُ الرَّيْبَ في عَيْنَيْهِ أَحْزَانَا

الخطيبة :

قُولِي لَهُ غِبْتُ عَنْ دَارٍ تَئِنُّ بِهَا
شَكْوَى وَتَقْتُلُ عُشَّاقًا وَخِلَّانَا

الأخت :

وَإِنْ أَعَادَ حُمَيَّا من لوَاعِجِهِ
وَحَرَّقَتْ جَفْنَهُ بَلْوَاهُ نيرانا
وَمَاجَ فِي شَفَتَيْهِ الوَجْدُ مرتجفاً

الخطيبة :

فَحَدِّثِيْهِ حَدِيثَ الأُخْتِ سُلْوَانَا

الأخت :

وَإِنْ تَسَاءَلَ عَنْ دَارٍ رَحَلْتِ لَهَا

الخطيبة :

فَقَدِّمِي خَاتَمِي رَمْزاً وَعُنْوَانَا
وَلاَ تُحِيْرِي جَوَابًا، رُبَّ صَامِتَةٍ
أَضْفَتْ عَلَى صَمْتِهَا بِرًّا وإِحْسَانَاً

الأخت :

وَرُبَّمَا وَالأَسَى يُدْمِي جَوَانِحَهُ
والذِّكْرَيَاتُ تُذيقُ القَلْبَ أَلْوَانَا
يَطُوفُ بَيْنَ جَنَانِ الدَّارِ، مَا بَرِحَتْ
تُعِيْدُ مِنْ هَمَسَاتِ الأَمْسِ أَلْحَانَا
يَشُقُّ بَيْنَ ظِلاَلِ الحُزْنِ خَطْوَتَهُ
يَلْقَى عَلَى دَرْبِهِ أَيْكاً وَبُسْتَانَا
يَرَى هُنَالِكَ، أَنَّى طَافَ نَاظِرُهُ،
خَيَالَكِ الحُلْوَ فَوَّاحًا وَرَيَّانَا
حَتَّى تَفِيْضَ مِنَ الأَحْزَانِ دَمْعَتُهُ
وَقَبْلُ كَانَتْ عَلَى الأَهْوَالِ عِصْيَانَا
يَعْشَى بِهَا وَيَطُوفُ الحَيَّ مُلْتَمِساً
عَلَى يَدَيْهِ زَوَايَا الدَّارِ تَحْنَانَا

يَقُــولُ مَا بَالُ هَذِي الــدَّارِ غَادَرَهَــا
نُوْرٌ وأَظْــلَمَ مِنْهَــا كُلُّ مَا كَانَــا

الخطيــبة :

قُوْلِي لَهُ انْــطَفَــأَ المِصْبَــاحُ وابْـتَـسَـمَـتْ
كَمَا تَبَــسَّــمَ يَوْمَ الــبَــيْنِ وَلْهَــانَــا
تَرَكْــتُ مِنْ بَسْــمَــتِي إِشْرَاقَــةً وَصَــلَتْ
مَعَ ابْــتِــسَــامَــتِــهِ أَيَّامَ لُقْــيَانَــا
سَنَــلْـتَــقِــي فِي جِنَــانِ الخُــلْدِ مُشْرِقَــةً
طَهَــارَةُ الحُــبِّ إِيْمَانًــا ورِضْــوَانَــا

١٩٥٢

في يوم ممطر، كانت تجتاز الوحول، فأهوت بينها، وهمّ لنجدتها...

يَوم مُمطر

هَمَّتْ وَلَمْ تَحْفَلْ بِمَا
فَعَلَ الشِّتَاءُ عَلَى الطَّرِيقِ

وَتَحَفَّزَتْ للوَثْبِ بَيْـ
ـنْ مَزَالِقِ الدَّرْبِ الغَرِيقِ

وَثَنَتْ هُنَالِكَ ثَوْبَهَا
ثَنْيَ الرَّفِيْقَةِ للرَّفِيقِ

وَتَكَشَّفَتْ سَاقٌ تَمُوَّ
وَجُ بِالْبَيَاضِ وبِالعَقِيْقِ

خَافَتْ عَلَى الثَّوْبِ المُنَمْـ
ـمَقِ والأَسَى وَمْضُ البُرُوقِ

وَهَـفَـتْ بِيُمْـنَـاهَـا تَشُـدْ
دُ بِهَا عَلَى الـصَّـدْرِ الخَـفُـوْقِ

* * *

قَفَـزَتْ فَلَمَّا غَاصَ كَعْـ
ـبـاهـا وَضَـاقَ بِهَا المُضِيُّ

وَتَـلَجْـلَجَـتْ مَـذْعـورةً
وَكَـأَنَّـهُ أَمْـرٌ فَرِيُّ

وَتَـلَفَّـتَـتْ جَزَعًـا إِلَيْ
يَ فَرَدَّهَـا الخُـلُقُ الأَبِيُّ

والـثَّـوْبُ أَفْـلَتَ وارْتَخَـى
عَنْ نَهْدِهَـا كَفُّ حَيِيُّ

والـقَـطْرُ فَوْقَ الـوَجْـنَـتَـيْـ
ـنِ كَأَنَّـهُ دَمْـعٌ عَصِيُّ

* * *

نَادَيْتُـهَـا: «يَاأُخْـتُ . . . ! فَانْـ
ـطَلَقَـتْ كَأَنِّي ذُو فُضُـوْلِ

وَدَنَـوْتُ أُسْـعِـفُـهَـا . . . فَأَهْـ
ـوَتْ وَيْحَـهَـا بَيْنَ الـوُحُـوْلِ

فالـســاقُ والـكَـفُّ الـضَّـعِـيْـ
ـفُ وَفِتْـنَـةُ الـثَّـوْبِ الجَـمِـيلِ

والـوَجْـنَـتَـانِ وَخُـصْـلَـةٌ
سَرَحَـتْ عَلَى الخَـدِّ الأَسِـيلِ

وَدَنَـوْتُ فَانْـطَلَقَـتْ مُهَـرْ
ولَـةً تَجُرُّ مِنَ الـذُّيُولِ

وَتَـلَفَّـتَـتْ...! وَتَحَـارُ فَوْ
قَ جُفُـونِهَا حُمَّى الـذُّهُـولِ

★ ★ ★

وَيكَـادُ يَفْـضَـحُ جَفْـنُهَـا
إِسْرَارَةَ الـعَـذْرَاءِ جَهْـرا

وَيكَـادُ مَبْـسِـمُـهَـا يَشُـقْ
قُ عَنِ الحَـيَاءِ رِضـاً وَشُـكْـرَا

وتخـلَّف المِـنْـدِيلُ مِنْ
يدِهَـا يَفُـوحُ هُنَـاكَ عِطْرَا

عَبَـقَ الـعَـفَـافِ وَزِيْنَـةً
مِنْ طُهْـرِهَـا لَمْ تُبْـدِ سِرًّا

وَمَـضَـتْ وَخَـلَّفَـتِ الـشَّـذَا
يُحيِي مِنَ الأَخْـلَاقِ ذِكْـرَى

هَوَتِ الـفَـتَـاةُ وَمَـا هَوَى
خُلُقٌ لَهَا أَوْ فَضَّ سِتْرَا

★ ★ ★

وَمَـضَـتْ تَرُدُّ عَلَى مُحَيِّـ
ياهـا حِجَـابَ الـطُّهْـرِ رَدَّا

تُخْفِـي كَمَا شَاءَ الـتُّـقَـى
مِنْ زِينَـةٍ وَتَـرُدُّ بُرْدَا

وَتَـضُـمُّ مِنْ أَدَبٍ وَمِـنْ
خُلُقٍ وَتَحْـفَظُ فِيْهِ عَهْـدَا

نِعْـمَ الحَـيَاءُ فَإِنَّـهُ
يَهَبُ الجَـمَالَ شَذَا وَنَـدَّا

هَذِي غِرَاسُ الـدِّيْنِ طا
بَتْ بالـتُّـقَـى عُوْدًا وَوَرْدَا

طَابَـتْ فَتَـاةٌ صَاغَـهَـا الـ
إِسْلامُ إِيْمَـانًـا وَمَـهْـدَا

وَرَعَـى لَهَا فِطَراً وَخَطْ
طَ لَهَا مِنَ الأَحْـلامِ رَغْـدا

هِيَ فِي دُرُوبِ الخَـيْرِ رِيـ
حَانٌ يَمُـدُّ الخَـيْرَ مَدَّا

وَتَـصُـوْغُ مَعْـدِنَهَا الـنَّـقْـي
يَ جَوَاهِـراً وَتَـصُـوغُ عِقْـدَا

تَهَبُ الأُمُـومَـةَ مِنْ وَفَـا
ءِ حَنَـانِهَا عَزْمًـا وَجُـهْـدَا

عَصَرَتْـهُ مِنْ دَمِـهَـا هَوًى
تَغْـذُو بِهِ الأَجْـيَالَ شَهْـدَا

وَهَـبَـتْ، وَمَـا بَخِـلَتْ عَلَى
أَبْـنَـائِـهَـا، قَلْبًـا وَكَـبْـدَا

وَلِـزَوْجِـهَـا نَشَرَتْ دُنَـا
ممْدُودَةً بِشْراً وَسَـعْـدَا

نَفَـحَـتْـهُ صَفْـوَ الـبِرِّ مِنْ
إِيـمَانِهَا شُكْـراً وَحَمْـدَا

صَانَتْ لأُمَّتِهَا الحُدُو
دَ وَأَوْرَثَتْ شَرَفًا وَمَجْدَا

دَفَعَتْ عَلَى شَتَّى مَيَا
دِينِ الجِهَادِ هُدًى وَجُنْدَا

★ ★ ★

١٩٥٥

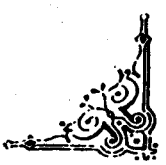

على جَبَل المكبّر في القدس تقوم الكلية العربية ـ أو دار المعلمين. . . في ساحاتها وبين زهورها قضينا أربع سنين.

هل تُرَانا نعود يا داريومًا

نَحْنُ في مَنْزِلٍ رَخِيٍّ أَطَلَّتْ
فَوْقَهُ الشَّمْسُ مِنْ ظِلَالِ السَّحَابِ

وَهَبَتْهُ مَعَ الشُّعَاعِ حُلِيًّا
وَمَعَ الطَّلِّ زَهْوَةً مِنْ شَبَابِ

خُضْرَةٌ تَبْسِمُ الزُّهُورُ عَلَيْهَا
بَيْنَ مَوْجٍ مِنَ الشَّذَا واضْطِرَابِ

يَفْتَحُ الوَرْدُ جَفْنَهُ عَنْ دَلَالٍ
فَتَمِيْلُ الزُّهُورُ فِيْ إعجَابِ

وَثِمَارٌ عَلَى الغُصُونِ . . . وَسَاحٌ
وَظِلَالٌ مَمْدُودَةٌ مِنْ رِغَابِ

كُلُّ وَادٍ عَلَى الضِّفَافِ تَلَقَّى
لَفْتَةَ البِيْدِ أَوْ حَنِيْنَ الرَّوَابِي

أَفْرَغَتْ شَوْقَهَا عَلَيْهِ فَأَغْفَى
فِي ظِلَالٍ مِنَ الغُصُونِ الرِّطَابِ

هِيَ كَفُّ الزَّمَانِ يَحْمِلُ فِيهَا
مَا يَشَاءُ الزَّمَانُ مِنْ إِخْصَابِ

★ ★ ★

وَالمَيَامِينُ فِي مَدَارِجِهِ الخُضْـ
ـرِ جِهَادٌ وَنَفْحَةٌ مِنْ لُبَابِ

بَيْنَ لَهْوٍ ... على بَرَاءَتِهِ العُمْـ
ـرُ تَخَطَّى لِوَثْبَةٍ وَطِلَابِ

لا يَرَوْنَ الحَيَاةَ إِلَّا انْتِهَاباً
مِنْ أَمَانٍ ومِنْ مَعَانِي كِتَابِ

وَ«كُرَاتٍ»[1] تَدُورُ فِي الأُفْقِ حَيْرَى
بَيْنَ شَوْقٍ مِنَ المُنَى وَارْتِيَابِ

فَهَوَتْ مِنْ ضَيَاعِهَا فِي ذُرَى الأُفْـ
ـقِ وَحَنَّتْ لِعَوْدَةٍ وَإِيَابِ

(١) كرة القدم.

غُرَفٌ خَيَّمَ السُّكُونُ عَلَيْهَا
وَنَوَاحٍ تَضِجُّ بالطُّلَّابِ

فَفَرِيقٌ عَلَى جَوَانِبِ سَاحٍ
وَفَرِيقٌ عَلَى سُفُوحِ هِضَابِ

رَكِبُوا الدَّهْرَ لَيِّنًا وَتَمَنَّوا
وَيْحَهُمْ أَنْ يَطُولَ لِينُ الرِّكَابِ

هَلْ تُرَانَا نَعُودُ يا دَارُ يَوْماً
إِنْ رَحَلْنَا وَطَالَ عَنْكِ غِيَابِي

فَوْقَ هَذِي الْمُرُوجِ أَتْرُكُ قَطْراً
مِنْ حَنِينٍ وَلَهْفَةً مِنْ شَبَابِي

وَعَلَى كُلِّ سَاحَةٍ ذِكْرَيَاتٌ
حَانِيَاتٌ عَلَى أَمَانٍ عِذَابِ

إِنَّ مِنْ حَوْلِنَا عَدُوّاً لَئِيماً
جَرَّدَ النَّصْلَ مِنْ بُطُونِ الْقِرَابِ

مَنْ تُرَاهُ يَرُدُّ كَيْدَ يَهُودٍ
وَانْتِدَابٍ مُلَفَّعٍ بِحِجَابِ

١٩٤٧

مداعبات مع الاخوان

مغرور أعجبتْهُ ضخامة جثته ودفعه غروره وطيشه إلى ارتياد أحياء اليهود للعبث والضياع.

غُرور

يا صَاحِبَ الْخُلُقِ الْخَبِيْثِ أَلَا تَرَى
فِيكَ النَّذَالَةَ رُكِّبَتْ والْعَارَا

وَتَبِيْتُ مَا بَيْنَ اليهُودِ مُوَاطِنًا
لَيْلًا تَؤُمُّ حِيَاضَهَا وَنَهَارَا

والسَّاقِطَاتُ بِهَا أَثَرْنَ بِكَ الهَوَى
فَرَكَضْتَ تَلْهَثُ خَلْفَهُنَّ جِهَارَا

وَلَقَدْ بَعُدْتَ عَنِ الفَضَائِلِ كُلِّهَا
وَسَقَطْتَ فِي خُبْثِ الرَّذَائِلِ جَارَا

إِنْ كَانَ فَخْرُكَ بِاجْتِمَاعِكَ جُثَّةً
فَالْبَغْلُ بَاتَ أَحَقَّ مِنْكَ فَخَارَا

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الأَرْضِ غَيْرُكَ فَاسِداً
لَكَفَى المُفَاسِدَ سَاعِداً وَمُشَارا

مَهْلاً! تَوَقَّفْ عِنْدَ حَدِّكَ! لا تَرَى
جُثَثَ الأَنَامِ مَعَزَّةً وَفَخَارَا

فَالدِّينُ والأَخْلاَقُ زِينَةُ صَادِقٍ
والعَقْلُ زَانَهُمَا هُدًى وَوَقَارا

١٩٤٣

تهنئة في زفاف:

تقسّمُ يا ربّ أنت الجدود

مَلاكَ السَّعَادَةِ زُفَّ السَّعَادَة
بِأَمْرِ الإِلَهِ وَبَارِكْ عِبَادَهْ

وَبَارِكْ «نُهَاكَ» وَأَلْحِقْ «مَهَاكَ»
بِعُرْسِ الحَيَاةِ وَطِيْبِ الوِفَادَهْ

تُقَسِّمُ يَا رَبِّ! أَنْتَ الجُدُودَ
فَأَحْسِنْ تَقَاسِيمَ هَذِي الرِّفَادَهْ

أَرَى الْبِشْرَ يَرْفُلُ فِي دَارِكُمْ
بِأَبْهَى الحُلَى «وَنُهَاكَ» القِلادَهْ

فَأَرْسِلُ بِالْبِشْرِ أَشْوَاقَنَا
مَعَ الطَّيْرِ يُنْشِدُ لَحْنَ السَّعَادَهْ

★ ★ ★

١٩٤٩

عند عودته ناجحاً مِنَ الامتحان:

حبّذا الكون وهو آية بِشْرٍ

مَرْحَبًا مَرْحَبًا بِهَذَا الأَمِيْرِ
وَسَلَامًا عَلَى أَخٍ لِي كَبِيرِ

فَانْظُرِ الكَوْنَ حِيْنَ خَفَّ وآيا
تُ الهَنَا نَمَّتْ عَنْ غِبْطَةٍ وَحُبُورِ

أَتَرَى الزَّهْرَ وَهْوَ يَرْقُصُ تِيهاً
واعْتِزَازًا بِحِبِّهِ المَنْصُورِ

أَمْ تَرَى الطَّيْرَ وَهْوَ يَشْدُو عَلى الأغـ
صَانِ لَمَّا تَمَايَلَتْ فِي سُرُورِ

مَنْ يَعِيْبُ الطَّاوُوس حِيْنَ تَهَادَى
يَتَبَاهَى بِحُسْنِهِ المَنْظُورِ؟ !

حَبَّـذَا الـكَـوْنُ وَهْـوَ آيَةُ بِشْرٍ
كُلُّ ما فِيهِ طَلْعَـةٌ مِنْ بَشِـيْرِ

★ ★ ★

١٩٤٤

وإلى صديق أعجبته صورته فكان يريها لأصحابه ويضعها في جيبه دائمًا معجباً بها.

صـــورَة

طَافَ بالـنَّـاسِ يُرِيْهِمْ
صُوْرَةَ الـقِـرَدِ وَعَـيْبِـهْ

وَيُعِـيْدُ الـذِّكْـرَ مِنْـهُ
كُلَّمَا حَنَّ لِقُـرْبِـهْ

هل سَمِـعْـتُـمْ أَنَّ قِرْدًا
حَمَلَ الـقِـرْدَ بِجَـيْبِـهْ

نَالَـتِ الأَلْـسُـنُ مِنْـهُ
وَمَـشَـى الـسُّـوءُ بِجَـنْـبِـهْ

خَشِيَ الـعَـارَ فَصَـلَّى
لَيْسَ إِجْـلَالاً لِرَبِّـهْ

عَبَـدَ اللهَ وَلَـكِـنْ
كَانَ إبْـلِيسُ بِقَـلْبِـهْ
يَدْأَبُ الـشَّـيْطَانُ حَتَّـى
يُوقِـعَ الـعَـبْـدَ بِدَأْبِـهْ

١٩٤٤

مُدَاعبة مع صَدِيقٍ خُوِّل سلطة فجارَ:

وإذا الذيب سامها

خَوَّلُـوا الـعـبـد سلطة
أيُّهـا * الـعـبـدَ لا تَجُرْ

حسـب الـعـبْـدُ أنَّـهُ
مَلَكَ الجـنَّ والـبَشَرْ

وإذَا الـنَّـفْسُ ما خلت
تُمْلأ النَّفس بِالـكِـبَرْ

صَعِـدَ الـعَـبْـدُ وَارْتَـقَـى
وَهَـوَى الحـر وانْـحَـدَرْ

يَعْـتَـلي الـبـحْـرَ جِيْفَـةٌ
إنـما قَعْـرُهُ الـدُّرَرْ

قد سرى الذئب بينكم
فَخُذُوا جانب الحَذَرْ

يصلحُ القَوْمُ عندمَا
يحكم القَوْمَ ذُو الخِبَرْ

وإذَا الذئب سامنا
أيُّ شاةٍ بِلَا خَطَرْ

١٩٤٤

أخ عزيز الأستاذ سليم البَرادعي... كتب له أحد إخوانه أبياتاً من الشعر وضعها في لوحة رسم عليها عقداً من الجواهر. يَضُمُّ أسماء العائلة. وكان الأولاد يوم ذاك ستّة. ثم أصبحوا تسعة أولاد مباركين إن شاء الله ... فأتممت له الشعر السابق بهذه الأبيات حتى تكمل اللوحة ويكْمُلَ العقد.

عِقْد

وَهَبَ الإلَهُ وَكُلُّ نُعْمَى آيَةٌ
صَدَقَتْ وَكُلُّ فَضِيْلَةٍ لا تُنْكَرُ

فَإذَا «بِسَائِدَةٍ» يَفُوحُ شَذَا التُّقَى
مِنْهَا وَيأتَلِقُ السَّنَاءُ وَيُنْشَرُ

و «إيَادُ» صَحَّ الأيْدُ مِنْ عَزَمَاتِهِ
وَزَكَتْ شَمَائِلُهُ وَطَابَ الجَوْهَرُ

يَمْضُونَ يَسْتَبِقُ المَطَالِعَ «رائِدٌ»
لِلبُشْرَيَاتِ وَعَزْمُهُ مُتَفَجِّرُ

فَإذَا هُمُ تِسْعٌ يُنَظِّمُ عِقْدَهُمْ
صفْوُ الوِدَادِ وَذِمَّةٌ لا تُخْفَرُ

١٣٩٧/١١/٢
١٩٧٧/١١/١٢

وعلى مائدة طيبة جمعتنا، وأصناف من الطعام شهية... قلت:

وبَعْد ذاك افتراقُ

أنْتَ يا «سَعْدُ» قَدْ مَلأْتَ بُطُونًا
وَغَمَرْتَ النُّفُوسَ بِشْراً وَسَعْدا

حِينَ ضَمَّ الصِّحَابَ مَائِدَةٌ كُبْـ
ـرَى، وَدَارَتْ عَلَى شِفَاهِيَ شَهْدَا

كُلُّ «مَحْشِيَّةٍ» تَحَرَّكُ وَجْداً
وَدَلالاً إلى فَمِي لَنْ تُرَدَّا

وَفِرَاخٌ تَطِيرُ مِنْ صَحْنِهَا الوا
سِعِ تَسْعَى إلى البُطُونِ وَتَهْدَا

إيهِ يا «كُبَّةً» تُمَزِّقُهَا الأَضْـ
ـرَاسُ كَيْداً مِنْ حُسْنِهَا أو حِقْدَا

هَا هُوَ اللحمُ مَا تَشَاءُ فَهَيَّا
لِغَرَامٍ وَدَعْ لِغَيْرِكَ هِنْدَا

هَلْ رَأَيْتَ الصِّحَابَ سَالَتْ لُعَابًا
كُلُّ فَرْدٍ هُنَاكَ شَمَّرَ زَنْدَا

وأَيَادٍ تَشَابَكَتْ فَوْقَ صَحْنٍ
مَزَّقَتْهُ الأَهْوَاء شَدًّا وَمَدَّا

وَسَكَاكِينُ جُرِّدَتْ وانْطِلاَقٌ
وَعُيُونٌ مُحَمْلِقَاتٌ تَحَدَّى

إِنَّ «عبد العليم» ضَاعَ لَدَيْهَا
وَشَكَا وَجْدَهُ إِلَيَّ وأَبْدَى

و «بشيرٌ» تَرَاهُ يَمْلأُ فَاهُ
فَأَضَاعَ النُّهَى، وَضَيَّعَ رُشْدَا

لَا تَخَفْ «سَعْدُ» إِنْ تَرَكْنَاكَ فَرْداً
بَعْدَ نَسْفِ الطَّعَامِ تَفْرُكُ جِلْدَا

أَيُّ ضَرْبٍ يَنْهَالُ فَوْقَكَ مَحْمُو
مِ وَيَلْوِي أَضْلاَعَكُمْ . . . ! فَاسْتَعِدَّا

★ ★ ★

هَكَـذَا نَلْتَـقِـي على «مَـائـدات»
مِنْ طَعَـامٍ وَبَـعْـدَ ذَاكَ افْـتِرَاقُ

هَا هُنَـا صُحْـبَـةٌ وَحُـسْـنُ وِدَادٍ
وَمَـعَ الـعُـمْـرِ فِتْـنَـةٌ وَشِـقَـاقُ

فَجِـهَـادٌ عَلَى الـطَّعَـامِ شَدِيدٌ
وَهَـوَانٌ مَعَ الـعِـدَى لا يُطَاقُ

١٩٦٣

دعانا أصدقاء إلى متنزه، فلما حضرت الخمرة انسحبت وكان معنا صديق وددتُ لو انسحب معي . . . فقلت:

أفْرَغَ الكَأس

إنَّ «هَـذَا الـصَّـدِيق» ضُلِّلَ أمْس
أفْـرَغَ الـكَـأْسَ حِينَ حَطَّمْـتُ كَأْسِي

سَحَـرَتْـهُ مَجَالِسُ الـلَّهْـوِ لَمَّا
دَارَت الخَـمْـرُ . . . ! ضَيَّعَـتْ كُلَّ رَأْس

أيُّ صَحْـب دَعَـوْكَ للسُّـوءِ لَيْلاً
يَتَـخَـفَّـوْن مِنْ عُيُونِ وَهَـجْس

ظَنَّ أنَّ الـظَّلاَمَ يَطْوِي غَوَايَا
تِ وَلاَ يَنْشُرُ الحَـدِيْثَ بِهَمْسِ

★ ★ ★

تَسْرَحُ الـعَـيْنُ وَهِـيَ تَبْـحَـثُ عَنْ نَشْـ
ـوَتِهَـا فِي صَبَـابَـةٍ وَتَحَسِّ

وَعَـلَيْهَـا مِنَ الـضَّـلَالِ سَحَـابَـا
تٌ وَأَمْـوَاجُ لَهْوِهَـا فَيْضُ رِجْسِ

نَظَرَاتٌ تَغِـيْبُ بَيْنَ عُبَـابِ
وَعَـلى شَاطِـىءِ الأَمَـانِيِّ تُرْسِي

وَطَـوَتْ مِنْ حَيَائِـهَـا وَتَخَـلَّتْ
عَنْ وَقَـار. . . ! وَقِـيْلَ مَجْلِسُ أُنْس

★ ★ ★

لَمْ تَعُـدْ للإِلـهْ «عَـبْـداً» تَقِـيَّاً
صِرْتَ عَبْـداً لِكُـلِّ فِسْـق وَبُـؤْس

كَانَ ظَنِّي بِأَنَّ «سَـعْـداً» دَعَـاكُـمْ
فَإِذَا بِالَّـذِي دَعَـا وَجْـهُ نَحْسِ

وإِذَا «بِـالـبَـشِـيرِ» ضَيَّعَ آمَـا
لاً و «فَـرْحَـاتِـنَـا» تَصِـيْرُ لِتَـعْس

و «الـسَّـلِّيْمُ» الـذي عَرَفْـتَ عَلِيْلٌ
ضَاعَ «صَـحْـبٌ» وَمَـا دَرَى. . ! وَيْحَ نَفْسي

★ ★ ★

١٩٦٣

إلى صديق جمعتنا مائدة ألهتنا عن بعض الدراسات والأعمال :

تفرقت كشتات العمر ضائعة

وكيف تذكر أوراقا وقد عرضت
أمام عينيك أشكال وألوان

نماذج من طعام الشرق قد نظمت
كأنها زهر يحويه بستان

من «كبة» حلوة لانت على شفة
كما يلين على عشاقه البان

يكاد يقفز لحم الطير منطلقا
كأنما ركبت للحم سيقان

وفرخة لا يكاد الصحن يحملها
حتى تطير ويلقى الطير أغصان

وَ «حُمُّصٍ» سالَ فِيه «الـزَّيْتُ» إذْ غَرِقَتْ
فيه الـلحـوم فأَنْـجَـى الـلحْـمَ رُبَّانُ

أَوْ أَنَّـهُ الـسَّـهْـل شُقَّـتْ دُوْنَـهُ سُبُـلٌ
وَحَـوَّمَـتْ في نَوَاحِـي الـسَّـهْـل عِقْبَـانُ

عَزَائِـمٌ في مَجَالِ الأَكْـلِ صَادِقَـةٌ
وفي سِوَاهُ فَتَـزْوِيرٌ وَبُهْـتَـانُ

هَوًى يُجَمِّـعُـهَـا حِيْنًـا، وَيَصْرِفُـهَـا
حِيْنًـا وَلَـيْسَ لَهَا في الـرَّوْع مَيْدَانُ

تَفَـرَّقَـتْ كَشَـتَـاتِ الـعُـمْـر ضَائِـعَـةً
وَضَـاعَ بَيْنَ حُمَيَّا الـلَّهْـو أَوْطَـانُ

١٩٧٠

مرض أثناء دراسته واستمداده للامتحان .

ومن صَدَق العزم في أمره

تَوَانَيْتَ إذْ رَنَّ صَوْتُ المَعَالِي
يَهِيْبُ بِمَنْ نَامَ أوْ مَنْ رَقَدْ

فَزُجَّ الصُّفُوفَ وَضَعْ هَالَةً
مِنَ العِزِّ يَبْقَى فَخَارَ الأَبَدْ

وَمَنْ صَدَقَ العَزْمَ في أَمْرِهِ
فَلَيْسَ يَفِلُّ العَزِيْمَةَ حَدْ

أَحَقًّا يَسِيْرُ بِهَذِي العُرُوقِ
وَيَمْشِي العَنَاءُ بِهَذَا الجَسَدْ

إذَا هَاجَمَتْكَ عَوَادِي الزَّمَانِ
وَسُلَّ عَلَيْكَ حُسَامُ الحَسَدْ

فَعُـذْ بِالإِلَـهِ فَفِـيْهِ الـرَّجَـاءُ
وَمِـنْـهُ الـشِّـفَـاءُ! إِلَـهُ صَمَـدْ

★ ★ ★

١٩٤٥

أبيات قدمتها إلى إبن عمّي حين أهديته نسخة من ديوان «الأرض المباركة».

إهـــداء

يا ابْـنَ عَمِّـي . . . ! إلَـيْكَ أُهْـدِي كِتَـابي
حَمَلَتْـهُ أَيْدِي الـوَفَـا والحَـنَـانِ

رَحِـمٌ بَيْنَـنَـا يُوَثِّـقُـهُ الـلـ
ـهُ وَيَحْـمِـيه مِنْ عَوَادِي الـزَّمَـانِ

رَحِـمَ الله مِنْ أَبِـيكَ خِلالاً
زَيَّنَـتْـهَـا شَجَـاعَـةُ الـفِـتْـيَانِ

والمُـرُوءَاتُ فِي مُحَيَّاهُ عَزْمٌ
نَضَّرَتْهَـا بَشَـاشَـةُ الإيمَانِ

أَنْـبَـتَـتْـهَـا مِنَ الجُـدُودِ غِرَاسٌ
وَسَـقَـوْهَـا مِنْ نَبْـعَـةِ الإيْمَان

يا «أبا ظافرٍ» عَلَيْكَ سَلَامٌ
رَفَّ مِنْهُ النَّدَى عَلَى رَيْحَانِ

أَنْتَ أَنْجَبْتَ «ظافِراً» و «بَهَاءً»
وَتَوَلَّى «بَشَّارُ» صِدْقَ البَيَانِ

وَإِذَا «النُّورُ» بَيْنَهُمْ يَتَلَالَا
وإِذَا «السَّعْدُ» مُقْبِلٌ بالأَمَانِي

والقَوَارِيْرُ والحِسَانُ الصَّبَايَا
يَتَلَفَّعْنَ بالتُّقَى والأَمَان

١٣٩٨/٤/١
١٩٧٨/٣/٩

فهرس الكتاب

الإهداء ٧
مقدمة الشاعر ٩
جولة ١٣
التائهون ٢٥
رُبَى الأقصى ٣٧
موكب النور ٥٣
رحلة الموت ٦٣
أسواق ٧٣
فما زالت لدينا بقية ٨٧
آية في السبيل ٩٣
غياب ١٠٣
آفاق ١١١
أبتاه .. أين الفجر .. كم رَاقَتْهُ ١١٩
عمّاه أحمد ١٣٣
أيها القلب ١٣٩
قصور وأكواخ ١٤٣
عرائس المجد ١٧١
ضياع ١٨١
بين شقيقتين احداهما تحتضر وخطيبها غائب ١٨٣
يوم ممطر ١٨٧
هل ترانا نعود يا دار يوماً ١٩٣
مداعبات مع الاخوان ١٩٧
غرور ١٩٩

تقسم يارب أنت الجدود ٢٠١
حبّذا الكون وَهَو آية بِشْرٍ ٢٠٣
صورة ١٥٨
وإذا الذيب سامها ٢٠٥
عِقْد ٢٠٩
وبعد ذاك افتراقُ ٢١١
أفرغَ الكأس ٢١٥
تفرقت كشتات العُمر ضائعةً ٢١٧
ومن صَدَقَ العزمَ في أمره ٢١٩
إهداء ٢٢١
الفهرس ٢٢٣

كتب للمؤلف

- دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية - الطبعة السادسة .
- الشورى وممارستها الإيمانية - الطبعة الثالثة .
- الشورى لا الديمقراطية - الطبعة الرابعة .
- لقاء المؤمنين - الجزء الأول - الطبعة الرابعة .
- لقاء المؤمنين - الجزء الثاني - الطبعة الثالثة .
- لقاء المؤمنين - الجزء الأول - (مترجم إلى اللغة التركية) الطبعةالأولى .
- منهج المؤمن بين العلم والتطبيق - الطبعة الخامسة .
- التوحيد وواقعنا المعاصر - الطبعة الثانية .
- العهد والبيعة وواقعنا المعاصر - الطبعة الثالثة .
- النهج والممارسة الإيمانية في الدعوة الإسلامية - الطبعة الرابعة .
- النيّة في الإسلام وبعدها الإنساني - الطبعة الأولى .
- الولاء بين منهاج الله والواقع - الطبعة الثانية .
- الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام - الطبعة الثانية .
- نهج الدعوة وخطة التربية والبناء - الطبعة الثانية .
- منهج لقاء المؤمنين - الطبعة الأولى .
- «خطة الدّاعية The Caller's Plan» (باللغة الانجليزية) - الطبعة الأولى .
- أضواء على طريق النجاة - الطبعة الأولى .
- الخشوع - الطبعة الأولى .

* * *

- الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته - الطبعة الثالثة .
- الحداثة في منظور إيماني - الطبعة الرابعة .
- تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها - الطبعة الثانية .

* * *

● ديوان الأرض المباركة – الطبعة السادسة .

● ديوان موكب النور – الطبعة الرابعة .

● ديوان جراح على الدرب – الطبعة الثالثة .

● ديوان مهرجان القصيد – الطبعة الأولى .

* * *

● ملحمة الغرباء – الطبعة الثالثة .

● ملحمة القسطنطينية (فتحان) – الطبعة الثانية .

● ملحمة الجهاد الأفغاني – الطبعة الثالثة .

● ملحمة فلسطين – الطبعة الخامسة .

● ملحمة الأقصى – الطبعة الثانية .

● ملحمة الإسلام في الهند – الطبعة الثانية

● ملحمة البوسنة والهرسك – الجريمة الكبرى – الطبعة الثانية .

● ملحمة الغرباء – الطبعة الثالثة

* * *

● على أبواب القدس – الطبعة الثانية .

● فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع – الطبعة الرابعة .

● الصحوة الإسلامية إلى أين ؟ – الطبعة الثالثة .

● عبدالله عزام . أحداث ومواقف – الطبعة الأولى

● واقع المسلمين : أمراض وعلاج – الطبعة الأولى

● فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع – مترجم إلى اللغة التركية – الطبعة الأولى .

● فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع – مترجم إلى اللغة الانجليزية – الطبعة الأولى

* * *

● دراسة انتشار الموجات الإلكترومغناطيسية المتوسطة (باللغة الإنجليزية) – الطبعة الأولى .